الفصل الثانى

المسجد الحرام والآثار المعمارية فى عهد الرسول ﷺ

المسجد الحرام[1]:

ذكر الله عز وجل المسجد الحرام فى القرآن الكريم فى خمسة عشر موضعًا تقدم ذكرها عند ذكر المسجد فى القرآن الكريم، وأذكر منها هنا على سبيل المثال ما جاء فى سورة البقرة فى قوله تعالى ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾[2].

وماورد فى سورة المائدة فى قوله عز وجل ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[3].

وما ورد فى سورة الأنفال فى قول الله عز وجل ﴿ **وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[4].

وما ورد فى قوله تعالى فى سورة التوبة ﴿ **كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾[5].

وورد فى سورة الإسراء فى قوله تعالى ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ**

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٦).

وفى قوله تعالى فى سورة الحج ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٧).

وفى قوله تعالى فى سورة الفتح ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٨).

وقد ذكر الزركشى نقلاً عن الماوردى «أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به: الحرم. إلا فى قوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ فإنه أراد به الكعبة، وقد روى النسائى فى سننه من حديث ميمونة رضى الله عنها قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: صلاة فى مسجدى هذا أفضل من الف صلاة فيما سواه إلا المسجد الكعبة. وروى أيضًا من حديث أبى هريرة إلا الكعبة. وفى رواية ابن ماجة: «وصلاته بمكة بمائة ألف» مع ذكر المساجد يظهر أنه أراد مسجد مكة والمصلى فيه مصلى بمكة والله أعلم»(٩).

ويعد المسجد الحرام أول مسجد وضع على الأرض لقول الله عز وجل فى سورة آل عمران ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١٠).

وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض فقال: المسجد الحرام، قلت ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاما، ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة، فصل(١١).

والمسجد الحرام هو البيت، والبيت الحرام، والبيت المحرم، والبيت العتيق، وسمى أيضًا بالكعبة لتكعيبه أى تربيعه، وقد أطلق العرب على كل بيت مربع مرتفع كعبة، واشترك النبى ﷺ فى بناء الكعبة قبل بعثته (شكل ١، ٢)، فكان يعمل فى نقل الحجارة مع غيره من أشراف قريش ورجالها، جاء فى صحيح البخارى فى باب بنيان الكعبة مانصه «حدثنى محمود حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنى ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما بنيت الكعبة ذهب النبى ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبى ﷺ اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال: إزارى إزارى فشد عليه إزاره...»[١٢] (شكل ٣).

وعقب فتح مكة (شكل ٤) مباشرة أمر الرسول ﷺ بتطهير الكعبة مما فيها من تماثيل وصور وأصنام، وجرى الرسول ﷺ على عادة قريش فى كسوة الكعبة، كما أمر الرسول ﷺ بتطييبها، قال ابن الأثير «ولما دخل رسول الله ﷺ، مكة كانت عليه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل دم أو مأثرة أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين، إلا سدانة البيت، وسقاية الحج» ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم»؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، فعفا عنهم... فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء. وطاف بالكعبة سبعًا، ودخلها وصلى فيها، ورأى فيها صور الأنبياء، فأمر بها فمحيت، وكان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا، وكان بيده قضيب، فكان يشير به إلى الأصنام وهو يقرأ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[١٣]، فلا يشير إلى صنم منها إلا سقط لوجهه. وقيل بل أمر بها وخدمت وكسرت. ثم جلس رسول الله ﷺ، للبيعة على الصفا»[١٤].

عمارة المسجد الحرام:

من الناحية المعمارية لم يكن للمسجد الحرام على عهد الرسول ﷺ جدران تحده، بل كانت البيوت تحدق به والأزقة بينها تفتح عليه، وكانت البيوت تصل حتى حدود المطاف، واستمر الأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه(١٥).

المسجد الحرام فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

شهدت مكة المكرمة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمارة المسجد الحرام، فقد أحاط الخليفة عمر رضى الله عنه المسجد بجدار، وذلك فى سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م، جاء فى صحيح البخارى فى باب بنيان الكعبة «حدثنى محمود حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنى ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنهما... حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار وعبيد الله بن أبى يزيد قالا لم يكن على عهد النبى ﷺ حول البيت حائط كانوا يصلون حول البيت حتى كان عمر فبنى حوله حائطا قال عبيد الله جدره قصير فبناه ابن الزبير»(١٦).

وقد أورد الزركشى فى إعلام الساجد عند ذكره من بنى المسجد الحرام «قال أبو الوليد الأزرقى وأبو الحسن الماوردى: أما المسجد الحرام فكان فناء الكعبة وقضاء للطائفين، ولم يكن له على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر جدار يحيط به وكانت الدور تحدق به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية فلما استخلف عمر، وكثر الناس، وضيقوا على الكعبة وألصقوا دورهم بها، قال عمر رضى الله عنه: إن الكعبة بيت الله ولابد للبيت من فناء، وإنكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها واتخذ له جدارا»(١٧).

ويحدثنا ابن الأثير فى أحداث سنة ١٧هـ عن بناء المسجد الحرام والتوسعة فيه بقوله «وفيها، أعنى سنة سبع عشرة، اعتمر عمر بن الخطاب، وبنى المسجد

الحرام ووسع فيه وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم على قوم أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دورهم فى بيت المال حتى أخذوها، وكانت عمرته فى رجب، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت، وأمر بتجديد أنصاب الحرم، فأمر بذلك مخرمة بن نوفل والأزهر بن عبد عوف وحويطب بن عبد العربى وسعيد بن يربوع، واستأذنه أهل المياه فى أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة»[١٨].

كسوة الكعبة بالقباطى:

ذكر الزركشى نقلاً عن الأزرقى «أن عمر رضى الله عنه كان يكسوها القباطى»[١٩].

وقد ازدهرت صناعة النسج منذ عصر الفراعنة فى مصر، ثم سارت فى سبيل التقدم حتى العصر البيزنطى، وتأثرت فى العصر البيزنطى بالأسلوبين البيزنطى والساسانى، وكانت معظم المراكز الرئيسية للنسيج فى مصر فى عصر الانتقال كما يذكر زكى محمد حسن هى التى لم يكثر فيها الأقباط، وكان القطن والكتان ينسجان فى البلاد المصرية المختلفة، ولاسيما فى الدلتا بمدن تنيس والإسكندرية وشطا ودمياط ودبيق والفرما، كما اشتهرت أيضًا بنسجهما مدينة البهنسا فى مصر الوسطى، أما الأقمشة الحريرية فكانت تنسج فى الإسكندرية ودبيق، وكانت هناك أيضًا مصانع للنسج فى مدينتى أخميم وأسيوط، ومما يدل على الدور المهم للأقباط المصريين فى هذه الصناعة أن أحد أنواع النسيج عرف بالقباطى، وقد عرف هذا النسيج من قبل العرب قبل الإسلام، ويعد الكتان الخامة الرئيسية المستخدمة فى صناعة النسيج المصرى[٢٠].

عمارة المسجد الحرام فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه:

شهدت مكة المكرمة فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه عمارة المسجد الحرام، فقد قام الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى سنة ٢٤هـ/ ٦٤٤م، وقيل فى عام ٢٦هـ/ ٦٤٦م بعمارته واتخذ له الأروقة، قال الزركشى فى إعلام الساجد «ثم لما استخلف عثمان رضى الله عنه اشترى دورًا أخر، ووسعه أيضًا وبنى المسجد والأروقة وكان عثمان أول من اتخذ الأروقة»(٢١).

ويحدثنا ابن الأثير فى أحداث سنة ٢٦هـ عن الزيادة فى الحرم بقوله «فى هذه السنة أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم. وفيها زاد عثمان فى المسجد الحرام ووسعه، وابتاع من قوم، فأبى آخرون، فهدم عليهم ووضع الأثمان فى بيت المال، فصاحوا بعثمان، فأمر بهم فحبسوا، وقال لهم قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به. فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأطلقهم»(٢٢).

الصلاة فى شعاب مكة المكرمة[٢٣]:

أرسل الله تعالى محمدًا ﷺ بالحنيفية السمحة، والشريعة الجامعة، التى تكفل للناس الحياة الكريمة المهذبة، والتى تصل بهم إلى أعلى درجات الرقى والكمال، وفى مدى ثلاثة وعشرين عامًا تقريبًا، قضاها رسول الله ﷺ فى دعوة الناس إلى الإسلام، تم له ما أراد من تبليغ الدين، واجمع الناس عليه، جاء فى صحيح البخارى فيما يتعلق بالفترة التى قضاها النبى ﷺ فى مكة قبل الهجرة ثم فى المدينة المنورة بعد الهجرة «حدثنا مطر بن الفضل حدثنا روح حدثنا هشام حدثنا عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين»[٢٤].

وقد صلى جبريل عليه السلام بالرسول ﷺ حين فرضت عليه الصلاة بأعلى مكة، وذلك بعد أن علمه الوضوء، ومنذ ذلك الوقت اتخذ الرسول ﷺ والصحابة من شعاب مكة مكانا للصلاة، قال ابن هشام «أن رسول الله ﷺ - كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه على بن أبى طالب»[٢٥] (شكل ٤).

مسجد أبى بكر الصديق رضى الله عنه بمكة قبل الهجرة:

يحدثنا البخارى فى صحيحه فى موضعين عن بناء مسجد من قبل أبى بكر الصديق رضى الله عنه بفناء داره بمكة قبل الهجرة، حيث أورد «ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يصلى فيه، ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا إنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره، فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجدًا بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه..»(٢٦).

وفى موضع آخر أورد البخارى فى صحيحه فى باب أفنية الدور والجلوس على الصعدات «وقالت عائشة فابتنى أبو بكر مسجدًا بفناء داره يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه والنبى ﷺ يومئذ بمكة»(٢٧).

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد رغب فى الهجرة إلى أرض الحبشة، قال البخارى فى صحيحه «حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل... أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت لم أعقل أبوى قط، إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفى النهار بكرة وعشية، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فقال اين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر أخرجنى قومى، فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى، قال ابن الدغنة فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، انك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك..»(٢٨).

عمارة المساجد بالمدينة المنورة قبل الهجرة[٢٩]:

حثت العقيدة الإسلامية المسلمين على إعمار الأرض، إذ حفلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالعديد من الآيات والنصوص التى تدفع المسلم إلى البناء، وتعد عمارة المسجد واحدة من أهم العمائر الدينية التى حددت العقيدة من جهة، والبيئة العربية من جهة أخرى معالمها الفنية، وبينت خطوطها وأشكالها وأوضحت خصائصها، ومن ثم فإن التخطيط المعمارى للمساجد الجامعة قد أوجب على المعمار المسلم أن يخططها من الناحية المعمارية ويشكلها من الناحية الزخرفية وفقًا لقواعد وظيفية تطلبتها العقيدة الإسلامية[٣٠].

قال تعالى فى سورة التوبة ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾[٣١].

وجاء فى إعلام الساجد كما تقدم «المساجد بيوت الله تضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الأرض»[٣٢].

وجاء أيضًا «قال رسول الله ﷺ: من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة»[٣٣].

ويعد المسجد كما تقدم من أحب البقاع إلى الله تعالى، جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ، أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»[٣٤].

ويحدثنا السمهودى عند ذكره دخوله ﷺ أرض المدينة، وتأسيس مسجد قباء

عن عمارة المساجد بالمدينة المنورة قبل هجرة الرسول ﷺ وتأسيس مسجد قباء بقوله «. . فبنى مسجد قباء، فهو أول مسجد بنى، يعنى لعامة المسلمين أو للنبى ﷺ بالمدينة، وهو فى التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهرًا، وإن كان قد تقدم بناء غيره من المساجد، فقد روى ابن أبى شبة عن جابر قال: لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله ﷺ سنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة، ولذا قيل: كان المتقدمون فى الهجرة من أصحاب رسول الله ﷺ والأنصار بقباء قد بنوا مسجدًا يصلون فيه، يعنى هذا المسجد، فلما هاجر رسول الله ﷺ وورد قباء صلى بهم فيه إلى بيت المقدس، ولم يحدث فيه شيئًا: أى فى مبدأ الأمر، لأن ابن شبة روى ذلك. .»[٣٥].

كما يحدثنا السمهودى عن مسجد بناه أسعد بن زرارة فى مربد[٣٦] سهل وسهيل فى موضع المسجد النبوى قبل هجرة الرسول ﷺ، وذلك بقوله «وفى كتاب يحيى ما يقتضى أن أسعد بن زرارة كان قد بنى بهذا المربد مسجدًا قبل مسجد الرسول ﷺ، فإنه قال: حدثنا بكر حدثنا محمد بن عمر حدثنا معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال: سمعت أم سعد بنت سعد بن الربيع تقول: أخبرتنى النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ يصلى بالناس الصلوات الخمس، ويجمع بهم فى مسجد بناه فى مربد سهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، قالت: فانظر إلى رسول الله ﷺ لما قدم صلى بهم فى ذلك المسجد وبناه، فهو مسجده اليوم»[٣٧].

وكان كلثوم بن الهدم يقيم الصلاة بأهل قباء فى مربده، وقد ذكر السمهودى هذا المربد بقوله «وكان لكلثوم بن الهدم بقباء مربد. . . فأخذه منه رسول الله ﷺ فأسسه وبناه مسجدًا كما رواه ابن زبالة وغيره»[٣٨].

وكان الرسول ﷺ قد أرسل إلى المدينة المنورة مصعب بن عمير ليفقههم فى الدين ويعلمهم الإسلام، فكان يصلى بهم، قال الطبرى «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فلما انصرف عنه القوم بعث معهم

رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى، وأمرهم أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم فى الدين، فكان يسمى مصعب بالمدينة: المقرئ، وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس ابى أمامة»[٣٩].

تأسيس مسجد قباء من قبل الرسول ﷺ:

أسس الرسول ﷺ مسجد قباء فى أثناء هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وهو المسجد الذى أسس على التقوى، وصلى فيه ﷺ إلى بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى، قال ابن هشام فى السيرة النبوية «فأقام رسول الله ﷺ - بقباء، فى بنى عمرو بن عوف، يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس، وأسس مسجده»[٤٠]. (شكل ٥).

وقد أورد السمهودى «وروى يونس بن بكير.. عن المسعودى عن الحكم بن عتيبة قال: لما قدم النبى ﷺ فنزل قباء قال عمار بن ياسر: مالرسول الله ﷺ بد من أن يجعل له مكانًا يستظل به إذا استيقظ ويصلى فيه، فجمع حجارة فبنى مسجد قباء، فهو أول مسجد بنى، يعنى لعامة المسلمين أو للنبى ﷺ بالمدينة، وهو فى التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهرًا... قيل: كان المتقدمون فى الهجرة من أصحاب رسول الله ﷺ والأنصار بقباء قد بنوا مسجدًا يصلون فيه، يعنى هذا المسجد، فلما هاجر رسول الله ﷺ وورد قباء صلى بهم فيه إلى بيت المقدس، ولم يحدث فيه شيئًا، أى فى مبدأ الأمر، لأن ابن شبة روى ذلك..»[٤١].

قال السمهودى عند ذكره سرد خصائص المدينة المنورة «الثانية والعشرون: اختصاصها بالمسجد الذى أنزل الله فيه «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه»[٤٢]، قال تعالى فى سورة التوبة ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ**

وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٤٣).

ووردت عدة روايات تتعلق بمسجد قباء، قال السمهودى «وروى الطبرانى. . . عن جابر أيضًا قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال لأصحابه «انطلقوا بنا إلى أهل قباء نسلم عليهم، فأتاهم فسلم عليهم، فرحبوا به، ثم قال: يا أهل قباء ائتونى بأحجار من هذه الحرة، فجمعت عنده أحجار كثيرة، ومعه عنزة له، فخط قبلتهم، فأخذ حجرًا فوضعه رسول الله ﷺ، ثم قال: يا أبا بكر، خذ حجرًا فضعه إلى حجرى، ثم قال: ياعمر خذ حجرًا فضعه إلى جنب حجر أبى بكر، ثم قال: يا عثمان خذ حجرًا فضعه إلى جنب حجر عمر، ثم التفت إلى الناس فقال: ليضع كل رجل حجره حيث أحب على ذلك الخط»(٤٤).

ويضيف السمهودى «قلت: وهو يقتضى أن هذا البنيان لم يكن عند قدوم النبى ﷺ إلى قباء، بل بعد قدوم عثمان رضى الله عنه من الحبشة. . . فيمكن أن النبى ﷺ أسسه عند قدومه، ثم بناه بعد ذلك، وإلا فلم يكن عثمان رضى الله عنه حاضرًا. . ولهذا قال السهيلى. أول من وضع حجرًا رسول الله ﷺ، ثم أبو بكر، ثم عمر، ولم يذكر عثمان، ثم قال: وصلى فيه نحو بيت المقدس قبل أن يأتى المدينة»(٤٥).

ونقل السمهودى «ثم روى أنه ﷺ بنى مسجد قباء وقدم القبلة إلى موضعها اليوم، وقال: جبريل يؤم بى البيت»(٤٦).

ويعلق الشهرى بقوله أن ما تتضمنه هذه الروايات المتعددة إلى تحويل القبلة إلى مكة المكرمة فى هذه المرحلة فى بناء مسجد قباء دليل على أنها غير مرحلة التأسيس الأولى، التى كان اتجاه القبله فيها إلى بيت المقدس(٤٧).

مسجد قباء فى الحديث النبوى:

ورد فى باب مسجد قباء فى صحيح البخارى «حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا أيوب عن نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان لا يصلى من الضحى إلا فى يومين يوم يقدم بمكة فإنه كان يقدمها ضحى فيطوف بالبيت ثم يصلى ركعتين خلف المقام ويوم يأتى مسجد قباء فإنه كان يأته كل سبت فإذا دخل المسجد كره أن يخرج منه حتى يصلى فيه قال وكان يحدث أن رسول الله ﷺ كان يزوره راكبًا وماشيًا قال وكان يقول إنما أصنع كما رأيت أصحابى يصنعون ولا أمنع أحدًا أن يصلى فى أى ساعة شاء من ليل أو نهار غير أن لا تتحروا طلوع الشمس ولا فى غروبها»(٤٨).

كما أورد البخارى فى باب من أتى مسجد قباء كل سبت «حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد العزيز بن مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان النبى ﷺ يأتى مسجد قباء كل سبت ماشيًا وراكبًا وكان عبد الله رضى الله عنه يفعله»(٤٩).

وورد فى باب إتيان مسجد قباء ماشيًا وراكبًا « حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله قال حدثنى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان النبى ﷺ يأتى قباء راكبًا وماشيًا * زاد ابن نمير حدثنا عبيد الله عن نافع فيصلى فيه ركعتين»(٥٠).

مسجد الضرار:

أما فيما يتعلق بمسجد الضرار الذى تقدم ذكره عند ذكر مسجد قباء فقد ذكره ابن هشام فى السيرة النبوية، فقال «قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ

حتى نزل بذى أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يارسول الله، إنا قد بنينا مسجدًا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا، فتصلى لنا فيه، فقال: «إنى على جناح سفر، وحال شغل»، أو كما قال ﷺ: «ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه». فلما نزل بذى أوان، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم، أخا بنى سالم بن عوف، ومعن بن عدى، أو أخاه عاصم بن عدى، أخا بنى العجلان فقال: «انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه»... وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلاً: خذام بن خالد، من بنى عبيد بن زيد، أحد بنى عمرو بن عوف، ومن داره أخرج مسجد الشقاق...»[٥١].

مسجد وادى رانوناء «مسجد الجمعة»:

أورد لنا ابن هشام فى السيرة النبوية مسجدا فى بطن وادى رانوناء عند ذكره خروج الرسول ﷺ من قباء يريد المدينة المنورة، حيث قال «ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك، فالله أعلم أى ذلك كان. فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة فى بنى سالم بن عوف، فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى، وادى رانوناء، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة»(٥٢).

وقد عرف هذا المسجد فيما بعد بمسجد الجمعة، ويقع وادى رانوناء فى الضاحية الجنوبية الغربية للمدينة المنورة، ذكره الطبرى فى تاريخه فقال «فى اليوم الذى ارتحل فيه من قباء، وذلك ان ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامدًا المدينة، فأدركته الصلاة، صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف، ببطن واد لهم ـ قد اتخذ اليوم فى ذلك الموضع مسجدًا ـ فيما بلغنى ـ وكانت هذه الجمعة، أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ فى الاسلام، فخطب فى هذه الجمعة، وهى أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل»(٥٣). (شكل ٥).

وقال السمهودى «فخرج ﷺ من قباء، فعرض له قبائل الأنصاركلهم يدعوه ويعدوه النصرة والمنعة، فيقول: خلوها فإنها مأمورة، حتى أدركته الجمعة فى بنى سالم فصلى فى بطن الوادى الجمعة وادى ذى صلب. قلت: قيل كانت هذه أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمدينة، وقيل: إنه كان يصلى الجمعة فى مسجد قباء فى إقامته هناك، والله أعلم»(٥٤).

المسجد النبوى:

يشير الشهرى[٥٥] إلى أن بشائر هذا الحدث المعمارى العظيم المتمثل فى المسجد النبوى بدأت عندما اختار الله تعالى لرسوله ﷺ يثرب داراً لمهاجره، قال البخارى فى صحيحه فى باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة «وحدثنى الأوزاعى عن عطاء بن أبى رباح قال زرت عائشة مع عبيد بن عمير الليثى فسألناها عن الهجرة فقالت لاهجرة اليوم كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسول الله ﷺ مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهادونية»[٥٦].

ويحدثنا ابن هشام فى السيرة عن خروجه ﷺ من وادى بنى سالم إلى المدينة المنورة (شكل ٥) بقوله «فأتاه عتبان بن مالك، وعباس بن عبادة بن نضلة فى رجال من بنى سالم بن عوف، فقالوا: يارسول الله. أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة، قال: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، لناقته: فخلوا سبيلها، فانطلقت.. حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار، بركت على باب مسجده ﷺ، وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بنى النجار، ثم من بنى مالك بن النجار، وهما فى حجر معاذ بن عفراء، سهل وسهيل ابنى عمرو... فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله، فوضعه فى بيته، ونزل عليه رسول الله ﷺ، وسأل عن المربد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو وهما يتيمان لى، وسأرضيهما منه، فاتخذه مسجدا... فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى مسجدا، ونزل رسول الله ﷺ على أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه»[٥٧].

عن الزهرى أنها بركت عند مسجد الرسول ﷺ، وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين، وكان مربدًا لغلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت راحلته: هذا إن شاء الله المنزل، وقال: اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ، قاله أربع مرات»(٥٨).

ويضيف السمهودى «وتقدم أن أبا أيوب قال: هو ليتيمين لى، وأنا أرضيهما، فأرضاهما.. ويحتمل أن كلا من أسعد وأبى أيوب وابن عفراء أرضى اليتيمين بشىء، فنسب ذلك لكل منهم»(٥٩).

ويحدثنا السمهودى عن مكان المسجد النبوى فيقول «وفى كتاب يحيى ما يقتضى أن أسعد بن زرارة كان قد بنى بهذا المربد مسجدًا قبل مسجد الرسول ﷺ فإنه قال: حدثنا بكر حدثنا محمد بن عمر حدثنا معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال: سمعت أم سعد بنت سعد بن الربيع تقول: أخبرتنى النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ يصلى بالناس الصلوات الخمس، ويجمع بهم فى مسجد بناه فى مربد سهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، قالت: فأنظر إلى رسول الله ﷺ لما قدم صلى بهم فى ذلك المسجد وبناه، فهو مسجده اليوم»(٦٠).

ويضيف السمهودى «وقال المجد: ذكر البيهقى المسجد فقال: كان جدارا مجدرا ليس عليه سقف، وقبلته إلى القدس، وكان أسعد بن زرارة بناه، وكان يصلى بأصحابه فيه، ويجمع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل التى فى الحديقة وبالغر قد أن يقطع، وكان فيه قبور جاهلية، فأمر بها فنبشت، وأمر بالعظام أن تغيب...»(٦١).

وقد ورد فى صحيح البخارى فى باب هل تنبش قبور مشركى الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد «حدثنا مسدد قال حدثنا عبد الوارث عن أبى التياح عن أنس قال قدم النبى ﷺ المدينة فنزل أعلى المدينة فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف...

ثم أرسل إلى بنى النجار فجاؤا متقلدى السيوف كأنى أنظر إلى النبى ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبى أيوب وكان يحب أن يصلى حيث أدركته الصلاة ويصلى فى مرابض الغنم وأنه أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملأ من بنى النجار فقال يابنى النجار ثامنونى بحائطكم هذا قالوا لا والله لانطلب ثمنه إلا إلى الله فقال أنس فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين وفيه خرب وفيه نخل فأمر النبى ﷺ بقبور المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت وبالنخل فقطع فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبى ﷺ معهم وهو يقول.

اللهم لا خير إلا خير الآخره فاغفر للأنصار والمهاجره[٦٢]

ويرجح الشهرى[٦٣] أن الرسول ﷺ صلى العصر بالمسلمين فى المدينة المنورة، وبالتحديد فى موضع المسجد الذى اتخذه أسعد بن زرارة فى مربد سهل وسهيل قبل مقدم رسول الله ﷺ، وذلك استنادًا إلى النص الذى أورده السمهودى وتقدم ذكره «. . . فأنظر إلى رسول الله ﷺ لما قدم صلى بهم فى ذلك المسجد وبناه، فهو مسجده اليوم».

بدأت عمارة المسجد النبوى عقب عملية تمهيد الأرض بتقريب الأحجار من حرار المدينة، وإعداد اللبن فى «بقيع الخبخبة ناحية بئر أبى أيوب بالمناصع والخبخبة: شجرة كانت تنبت هناك»، وكان ابتداء بنيان المسجد فى شهر ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة، وقد باشر ﷺ العمل فيه بنفسه، فقد أورد السمهودى عند ذكره سرد خصائص المدينة «الحادية والعشرون: تأسيس مسجدها الشريف على يده ﷺ، وعمله فيه بنفسه، ومعه خير الأمة المهاجرون الأولون والأنصار المقدمون»[٦٤].

فلسفة اختيار الموقع:

رأى الرسول ﷺ أن يتوسط المسجد المدينة المنورة لكى يكون نواة العاصمة والحاضرة الجديدة للدولة الإسلامية من جهة، ولكى تحقق الغرض الأساسى من

إقامته وانشائه وهو إقامة الصلاة لجماعة المسلمين، فضلاً عن كونه مكانًا للعبادة وتلاوة القرآن، وطلب العلم، ومدارسة العلماء، واستعراض ما يستجد على المجتمع الإسلامى من جهة أخرى، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فى نص ابن النجار «إختار رسول الله ﷺ المنازل فنزل فى منزله ومسجده فأراد أن يتوسط الأنصار كلها فأحدقت به الأبصار»[٦٥]. (شكل ٥).

وفى ذلك أورد السمهودى «وفى رواية لابن زبالة: اختار رسول الله ﷺ على عينه، فنزل منزله وتخيره، وأراد أن يتوسط الأنصار كلها. قال المطرى: وهو غير مناف لما تقدم من قوله «دعوها فإنها مأمورة»، لأن الله اختار له ما كان يختار لنفسه. وفرح أهل المدينة بمقدمه ﷺ إليهم فرحا شديدا»[٦٦].

إرساء قاعدة إسناد الصنائع إلى أصحابها:

قام الرسول ﷺ بارساء قاعدة تعد من أهم القواعد التى ترتكز عليها الحضارات الإنسانية على الإطلاق سواء فى نشأتها ونموها وازدهارها أو فى تدهورها عبر العصور، وهى قاعدة إسناد الصنائع إلى أصحابها، وذلك عند عمارة المسجد النبوى، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فيما أورده السمهودى ونصه «ونقل المجد عن رواية محمد بن سعد نحوه، قال: وجاء رجل يحسن عجن الطين، وكان من حضرموت، فقال رسول الله ﷺ: رحم الله امرأ أحسن صنعته، وقال له: الزم أنت هذا الشغل فإنى أراك تحسنه»[٦٧].

كما نقل «وفى كتاب يحيى من طريق ابن زبالة عن الزهرى: كان رجل من أهل اليمامة يقال له طلق من بنى حنيفة يقول: قدمت على النبى ﷺ وهو يبنى مسجده، والمسلمون يعملون فيه معه، وكنت صاحب علاج وخلط طين، فأخذت المسحاة أخلط الطين والنبى ﷺ ينظر إلى ويقول: إن هذا الحنفى لصاحب طين. وروى أحمد عن طلق بن على قال: بنيت المسجد مع النبى ﷺ، فكان يقول: قربوا اليمامى من الطين فإنه أحسنكم له مسكا وأشدكم منكبا»[٦٨].

وقد حث القرآن الكريم فى العديد من الآيات القرآنية المسلمين على أن تتسم

أعمالهم بالخير والدقة والاتقان، وأذكر منها هنا على سبيل المثال قوله عز وجل فى سورة الأنعام ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾(٦٩).

وقوله عز وجل فى سورة التوبة ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٧٠).

وقوله عز وجل فى سورة يونس ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(٧١).

وقوله عز وجل فى سورة الإسراء ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴾(٧٢).

وقوله عز وجل فى سورة النمل ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾(٧٣).

وجاء فى صحيح البخارى فى باب من سئل علما وهو مشتغل فى حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل «حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح وحدثنى إبراهيم بن المنذر... عن أبى هريرة قال بينما النبى ﷺ فى مجلس يحدث القوم جاءه اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله ﷺ يحدث... حتى إذا قضى حديثه قال أين أراه السائل عن الساعة قال ها أنا يارسول الله قال فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»(٧٤).

تخطيط المسجد النبوى وعمارته فى المرحلة الأولى:

أهتم الرسول ﷺ بأمر بناء المسجد وتعيين اتجاه القبلة بمساعدة جبريل عليه السلام، جاء فى اعلام الساجد فيما يتعلق بمصلاه أو محرابه ﷺ «لا يجتهد فى محراب رسول الله ﷺ لأنه صواب قطعا إذ لا يقر على خطأ فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد فيه باليمنة واليسرة، بخلاف محاريب المسلمين، والمراد بمحرابه ﷺ مكان مصلاه فإنه لم يكن فى زمنه عليه السلام محراب»(٧٥).

وقد صلى الرسول ﷺ فى هذه المرحلة إلى بيت المقدس، وكان المسجد لا يشتمل على محراب، بل على موضع مصلاه ﷺ الذى كان مقابلاً لوسط الصف، فقد ورد استحباب وقوف الإمام مقابلاً لوسط الصف «لحديث أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: «وسطوا الإمام، وسدوا الخلل». رواه أبو داود، وسكت عنه هو والمنذرى، وقد ورد لفظ المحراب فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع، ويمكن حصر هذه المواضع على النحو التالى:

قال الله تعالى فى سورة آل عمران ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾(٧٦).

وقوله عز وجل فى سورة آل عمران ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾(٧٧).

وقوله عز وجل فى سورة مريم ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾(٧٨).

وقوله عز وجل فى سورة ص ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾(٧٩).

وقد جاء تخطيط المسجد بسيطًا يتفق وروح العقيدة الإسلامية السمحة، حيث كان عبارة عن مساحة مستطيلة مكشوفة تمتد من الشرق إلى الغرب كما يذكر الشهرى بمقدار ٦٣ ذراعا، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٥٤ ذراعا، وثلثا ذراع، تحددها أربعة جدران بارتفاع قامة أوبسطة، وتتمثل فى جدار القبلة الذى يعد أهم جدران المسجد، وكان يمتد من الشرق إلى الغرب عند تأسيس المسجد فى اتجاه بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى، أى فى الجهة الشمالية، ثم يقابله ويوازيه جدار آخر يماثله فى الجهة الجنوبية، أما الجداران الشرقى والغربى فيمتدان من الجنوب إلى الشمال بهيئة متعامدة على طرفى جدار القبلة(٨٠).

أما فيما يتعلق بمواد البناء فقد شيدت هذه الجدران فى أساسها بالحجر المحفور له فى باطن الأرض إلى إرتفاع ثلاثة أذرع (١,٥٠ م تقريبًا)، وبنيت الجدران أعلى الأساسات باللبن، لبنة فوق لبنة، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فى نص ابن النجار «وجعلوا أساس المسجد من الحجارة، وبنوا باقيه من اللبن»(٨١)، وتمثل عمارة المسجد النبوى على هذا النحو المرحلة الأولى، وهى المرحلة التى اتسمت بالتأثيرين العقائدى والبيئى سواء من حيث الاسلوب أو مواد البناء، وقد جاء فى وفاء الوفا «... عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان بناء مسجد رسول الله ﷺ بالسميط لبنة على لبنة... وكانوا رفعوا أساسه قريبًا من ثلاثة أذرع بالحجارة... وفى رواية جعفر: ولم يسطح... وكان جداره قبل أن يظلل قامة وشيئًا»(٨٢)

الزيادات فى المسجد النبوى خلال عهد الرسول ﷺ:

وفى مرحلة أخرى تلت المرحلة السابقة ذكر الشهرى أن طول المسجد كان من سبعين ذراعًا، وعرضه أكثر من ستين، وارتفاعه قامة وشىء، ونوع البناء لبنة

ونصف، وأرضه مكشوفة، قال ابن النجار «ثم إن المسلمين كثروا فبنوه لبنة ونصفا»[٨٣].

قال السمهودى «عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان بناء مسجد رسول الله ﷺ بالسميط لبنة على لبنة، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى»[٨٤]. ويرى الشهرى أنه رغم هذه الزيادة إلا أن المسجد ظل عبارة عن مساحة مستطيلة مكشوفة تحددها أربعة جدران تحدد محيط المسجد وتحفظ حرمته[٨٥].

تخطيط المسجد النبوى وعمارته فى المرحلة الثالثة:

«تظليل مكان الصلاة» «ظلة القبلة»

فى مرحلة ثالثة مر بها المسجد النبوى قال ابن النجار «. . . ثم قالوا: يارسول الله لو أمرت فزيد فيه. قال: نعم. فأمر به فزيد فيه وبنى جدار لبنتين مختلفتين، ثم اشتد عليهم الحر فقالوا: يارسول الله لو أمرت بالمسجد فظلل، قال: نعم فأمر به فأقيم له سوارى من جذوع النخل شقة ثم شقة ثم طرحت عليها العوارض والخصف والأذخر، وجعل وسطه رحبة فأصابتهم الأمطار فجعل يكف عليهم فقالوا يارسول الله لو أمرت بالمسجد يعمر فطين. فقال ﷺ لهم: «عريش كعريش موسى ثمام وخشيبات والأمر أعجل من ذلك»(٨٦).

وقد نقل السمهودى «. . عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان بناء مسجد رسول الله بالسميط لبنة على لبنة، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى، ثم كثروا فقالوا: يارسول الله لوزيدفيه، ففعل، فبنى بالذكر والأنثى، وهى لبنتان مختلفتان. . . فشكوا الحر فجعلوا خشبه وسواريه جذوعا، وظللوا بالجريد ثم بالخصف، فلما وكف عليهم طينوه بالطين. . .»(٨٧).

كما نقل السمهودى فيما يتعلق بمداخل المسجد «وذكر الاقشهرى فى خبر عن ابن عمر. . . كان مسجد رسول الله ﷺ فى زمانه من اللبن، وسقفه من غصن النخل، وله ثلاثة أبواب: باب فى مؤخره، وباب عاتكة وهو باب الرحمة، والباب الذى كان يدخل منه وهو باب عثمان، وهو الذى يسمى اليوم باب جبريل»(٨٨).

وفى رواية أخرى نقل «. . . ويقال: إنه كان أقل من مائة ذراع، وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باب فى مؤخره، أى وهو فى جهة

القبلة اليوم، وباب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة ويقال باب الرحمة، والباب الذى كان يدخل منه رسول الله ﷺ، وهو باب آل عثمان اليوم، وهذان البابان لم يغيرا بعد ان صرفت القبلة»(٨٩).

ويذكر الشهرى أن هذه المرحلة تمثل المرحلة الثالثة فى عمارة المسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ، وهى المرحلة التى بقى فيها المسجد كما هو فى المرحلة الثانية أو السابقة أى أقل من مائة ذراع كما تقدم فى رواية السمهودى إلا أنه سقف بالعوارض التى ترتكز على الأعمدة من جذوع النخل وفوقها الخصف والأذخر، ثم استخدم الطين فى تغشيتها فيما بعد، وقد أوجب استخدام السقف فى هذه المرحلة رفع البناء، ومن المرجح كما يذكر الشهرى أن استخدام اللبنتين المعترضتين كان فى هذه المرحلة نظرًا لما يتطلبه تسقيف المسجد من متانة فى البناء، وهذا البناء هو ما بقى عليه المسجد حتى تم تحويل القبلة وتجديد بناء المسجد وتوسعته فى السنه السابعة من الهجرة(٩٠).

أصبحت عمارة المسجد النبوى تتكون من مساحة مستطيلة تنقسم إلى صحن مكشوف يقع فى الجهة الجنوبية، وظلة للقبلة تقع فى الجهة الشمالية تتكون أغلب الظن كما يذكر أحمد فكرى من ثلاث بلاطات تفصلها ثلاثة صفوف من جذوع النخل، وتنقسم هذه البلاطات الموازية لجدار القبلة إلى بلاطات عمودية بالنسبة لجدار القبلة يغطيها سقف من سعف النخيل والطين(٩١). (شكل ٦).

وقد ورد لفظ ظلة فى القرآن الكريم فى قول الله عز وجل فى سورة الأعراف ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٩٢).

أثر العقيدة الإسلامية والعوامل البيئية فى تشكيل عمارة المسجد النبوى:

مما تقدم يتضح أن بساطة العقيدة الإسلامية السمحة قد أثرت تأثيراً عميقًا فى نشأة وتطور عمارة المسجد النبوى فجاء بسيطًا من حيث التخطيط والعمارة، حيث لم يتطلب الأمر أكثر من تمهيد المكان المخصص لبناء المسجد، ثم حفر الأساسات وإقامة الجدران التى تحفظ حرمته، وقد تم ذلك بالمواد البنائية المتاحة فى البيئة سواء من حيث استخدام الحجر فى الأساسات، أو اللبن فى الجدران، كما أثرت العوامل البيئية المتمثلة فى العامل المناخى فى تطور تشكيل عمارة المسجد، حيث أدت شدة الحر فى هذه المرحلة إلى عمل ظلة لمكان الصلاة والذى عرف نتيجة لذلك بظلة القبلة، كما عرف أيضا ببيت الصلاة أورواق القبلة، وهو الأمر الذى أدى بطبيعة الحال إلى استخدام سوار من جذوع النخل على مسافات منتظمة من الناحيتين الأفقية والرأسية حتى يمكن وضع العوارض والخصف والأذخر عليها، كما أثرت الأمطار على تشكيل سقف المسجد أو ظلة القبلة، حيث استخدم المسلمون فى هذه المرحلة من عمارة المسجد النبوى الطين حتى لا يقطر السقف، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن تصميم وعمارة المسجد من صحن وظلة للقبلة على هذا النحو يعد تصميمًا جديداً يتفق وطبيعة المرحلة التى كانت تمر بها الدعوة والدولة الإسلامية فى ذلك الوقت من جهة والعوامل البيئية من جهة أخرى، فقد آثر الرسول ﷺ، أن لا يقتبس أفكارا من المعابد القديمة أو الكنائس لتخطيط وعمارة مسجده كما فعل الرومان والمسيحيون من قبل، وهو الأمر الذى يعكس بوضوح فكراً جديداً استمده الرسول ﷺ والمسلمون من روح العقيدة الإسلامية والبيئة العربية.

تخطيط المسجد النبوى وعمارته فى المرحلة الرابعة:

«تحويل القبلة»

أورد البخارى فى صحيحه «كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله «قد نرى تقلب وجهك فى السماء، فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم»(٩٣).

قال الطبرى «واختلف السلف من العلماء فى الوقت الذى صرفت فيه من هذه السنة، فقال بعضهم. وهم الجمهور الأعظم: صرفت فى النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدم رسول الله ﷺ المدينة»(٩٤).

وقال الزركشى نقلاً عن الحافظ الذهبى «فلما حولت القبلة بقى حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة»(٩٥).

وقد ورد ذكر أهل الصفة فى صحيح البخارى فى باب نوم الرجال فى المسجد «وقال أبو قلابة عن أنس قدم رهط من عكل على النبى ﷺ فكانوا فى الصفة، وقال عبد الرحمن بن أبى بكر كان أصحاب الصفة الفقراء حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن عبيد الله قال حدثنى نافع قال أخبرنى عبد الله أنه كان ينام وهو شاب أعزب لا أهل له فى مسجد النبى ﷺ... حدثنا يوسف بن عيسى قال حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال رأيت سبعين من أصحاب الصفة مامنهم رجل عليه رداء إما إزار وإماكساء قد ربطوا فى أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته»(٩٦).

والواقع أن تحويل القبلة من جهة بيت المقدس فى الشمال إلى مكة المكرمة فى الجنوب كان بمثابة مرحلة هامة بالنسبة لتطور تخطيط المسجد النبوى، حيث قام الرسول ﷺ بعمل ظلة جديدة للقبلة فى الجهة الجنوبية، وترك الظلة الأولى

لأهل الصفة فى الجهة الشمالية لإيواء الفقراء والمساكين كما تقدم، وكان ما بين الظلتين رحبة واسعة، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن المسجد نتيجة تحويل القبلة أصبح يتكون من صحن أوسط مكشوف وظلتين احداهما فى الجهة الجنوبية وهى ظلة القبلة المستحدثة والأخرى فى الجهة الشمالية وهى ظلة المسجد الأولى أو القديمة، وقد خصصت لأهل الصفة. (شكل ٧).

كما ترتب على استحداث الظلة الجنوبية[٩٧] وجود مدخل فى الظلة الشمالية، حيث قام الرسول ﷺ بسد المدخل الذى كان فى مؤخره قبل استحداث الظلة الثانية، وترك البابين الآخرين وهما باب الرحمة، وباب جبريل، فقد نقل السمهودى «. . . وجعل له ثلاثة أبواب: باب فى مؤخره، أى وهو فى جهة القبلة اليوم، وباب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة ويقال باب الرحمة، والباب الذى كان يدخل منه رسول الله ﷺ، وهو باب آل عثمان اليوم، وهذان البابان لم يغيرا بعد أن صرفت القبلة، ولما صرفت القبلة سد النبى ﷺ الباب الذى كان خلفه وفتح هذا الباب، وحذاء هذا الباب ـ أى ومحاذيه ـ هذا الباب الذى سد. وعبر ابن النجار عن ذلك بقوله: ولما صرفت القبلة سد الباب الذى كان خلفه وفتح باب حذاءه. قال المجد: أى تجاهه»[٩٨]. (شكل ٧).

هذا وقد أورد السمهودى فيما يتعلق بأول صلاة إلى الكعبة «قال الحافظ ابن حجر: التحقيق أن أول صلاة صلاها فى بنى سلمة الظهر، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوى العصر»[٩٩]، ويذكر الشهرى ومن ثم انتشر نبأ تحويل القبلة فى المدينة وما يحيط بها من قرى، فكان وقت وصول الخبر يختلف من مكان لآخر[١٠٠].

اهتم الرسول ﷺ بأمر بناء الظلة الجديدة وتعيين اتجاه القبلة كما اهتم ﷺ من قبل بأمر بناء الظلة القديمة وتعيين اتجاه القبلة إلى بيت المقدس، وذلك بمساعدة جبريل عليه السلام، جاء فى اعلام الساجد «لا يجتهد فى محراب رسول الله ﷺ لأنه صواب قطعا إذ لا يقر على خطأ فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد فيه باليمنة واليسرة، بخلاف محاريب المسلمين، والمراد بمحرابه ﷺ مكان مصلاه

فإنه لم يكن في زمنه عليه السلام محراب»[١٠١]، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن المسجد النبوى لم يشتمل على محراب سواء فى المرحلة الأولى التى تقدم ذكرها، وهى مرحلة تأسيس المسجد أو فى المرحلة الرابعة التى نحن بصددها، وهى مرحلة تحويل القبلة، بل اشتمل على مكان مصلاه ﷺ.

جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة فيما يتعلق بتعريف القبلة «القبلة هى جهة الكعبة، أو عين الكعبة، فمن كان مقيمًا بمكة أو قريبًا منها فإن صلاته لا تصح إلا إذا استقبل عين الكعبة يقينًا مادام ذلك ممكنًا، فإذا لم يمكنه ذلك، فإن عليه أن يجتهد فى الاتجاه إلى عين الكعبة، إذا لا يكفيه الاتجاه إلى جهتها ما دام بمكة، على أنه يصح أن يستقبل هواءها المحاذى لها من أعلاها، أو من أسفلها... فاستقبال هواء الكعبة المتصل بها من أعلى أو أسفل، كاستقبال بنائها عند الأئمة وخالف المالكية»[١٠٢].

وجاء أيضًا «ومن كان بمدينة النبى ﷺ، فإنه يجب عليه أن يتجه إلى نفس محراب المسجد النبوى. وذلك لأن استقبال عين محراب مسجد النبى ﷺ هو استقبال لعين الكعبة، لأنه وضع بالوحى، فكان مسامتًا لعين الكعبة بدون انحراف، أما من كان بعيدًا عن مكة، فالشرط فى حقه أن يستقبل الجهة التى فيها الكعبة، ولا يلزمه أن يستقبل عين الكعبة، بل يصح أن ينتقل عن عين الكعبة إلى يمينها أو شمالها، ولا يضر الانحراف اليسير عن نفس الجهة أيضًا، لأن الشرط هو أن يبقى جزء من سطح الوجه مقابلاً لجهة الكعبة... وهذا رأى ثلاثة من الأئمة، وخالفهم الشافعية»[١٠٣].

والواقع أنه فيما يتعلق بمسألة تحويل القبلة فإن الرسول ﷺ رغب فى أن تكون قبلة المسلمين إسلامية خالصة من خلال فكر إسلامى جديد لكون القبلة الأولى كانت لليهود من جهة، ولأن مكة المكرمة كانت أحب البلاد إليه ﷺ من جهة أخرى فأحب أن يتوجه فى صلاته إليها، وأن يتوجه المسلمون معه وبعده فى كافة أقطار الأرض إليها، ومن ثم نلحظ ذاتية إسلامية جديدة نابعة من فكر الرسول ﷺ ومباركة من قبل الله عز وجل.

وقد اشتد استياء اليهود عندما حولت القبلة فأنزل فيهم الله عز وجل قوله فى سورة البقرة ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١٠٤).

وقال تعالى فى سورة البقرة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٠٥).

وقال الله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(١٠٦).

وقال تعالى فى سورة البقرة ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِى وَلأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١٠٧).

مما تقدم نؤكد على أن تصميم المسجد النبوى يعد تصميمًا جديدًا من قبل الرسول ﷺ سواء فى مرحلته الأولى أو فى مرحلتيه الثانية والثالثة قبل تحويل القبلة أو فى مرحلته الرابعة بعد تحويل القبلة، ويتفق هذا التصميم ومتطلبات العقيدة الإسلامية الجديدة، فقد آثر الرسول ﷺ ألا يقتبس أفكاره لتخطيط وتطوير مسجده من المعابد القديمة أو الكنائس كما فعل الرومان والمسيحيون من قبل، وهو الأمر الذى اتضح جليًا فى مسألة تحويل القبلة وما ترتب على ذلك

من تغير فى التخطيط، وهو الأمر الذى سوف يتضح جليًا أيضًا فى مسألة الأذان ونشأة المئذنة فى المسجد النبوى.

هذا فيما يتعلق بمسألة تحويل القبلة وأثرها فى تطور التخطيط[١٠٨]، أما فيما يتعلق بالنقطة الثانية التى تقدم ذكرها وتتعلق باستخدام المدخل فى جدار القبلة فى الظلة الأولى أو القديمة بعد تحويل القبلة من جهة، وسد المدخل الذى كان فى مؤخر المسجد، أى فى جدار القبلة المستحدث فإنه يمكن القول أن مداخل المساجد[١٠٩] تعد من أهم العناصر المعمارية التى خضع توزيعها بشكل رئيسى للتأثيرات العقائدية فى الفن المعمارى الإسلامى، حيث خططت من خلال منظور عقائدى تمثل فى كراهية المرور بين يدى المصلى أو بين صفوف المصلين أو أمامهم، ومن ثم قام المعمار المخطط لتلك المداخل بتخطيطها وفقًا لقواعد معينة تتفق مع المطلب العقائدى لها، فقد راعى الرسول ﷺ والمسلمون عدم وجود مداخل فى جهة جدار القبلة فى أثناء وجود الظلة التى كانت تتجه إلى بيت المقدس، وهى الظلة الأولى أو القديمة فى الجهة الشمالية، ثم قاموا بسد باب مؤخر المسجد عند تشييد الظلة الثانية أو الجديدة فى الجهة الجنوبية، حيث أصبح هذا المؤخر جدار القبلة فى العمارة المستحدثة، ومن ثم كان لابد من أن يخلو من وجود مداخل، كما رأوا استحداث المدخل فى جدار القبلة القديم لأنه لم يعد جدارًا للقبلة، وإنما أصبح جدارًا لظلة أهل الصفة، ويتوصل من هذا المدخل الرئيسى الذى يقع على محور مصلاه ﷺ إلى ظلة أهل الصفة ثم إلى الصحن وظلة القبلة المستحدثة.

ومن منظور عقائدى اكتفى الرسول ﷺ والمسلمون بتوزيع مداخل المسجد على ثلاثة جوانب لتيسير عملية الدخول من قبل المصلين إلى المسجد، وهى الجوانب الشمالية والشرقية والغربية وذلك بعد تحويل القبلة، وكانت قبل تحويل القبلة فى الجوانب الجنوبية والشرقية والغربية، وقد راعى المسلمون أن توزيع المداخل يجب أن يكون وفقًا لتخطيط هندسى متناسق بحيث يقع كل بابين متقابلين على محور واحد فى الجدارين الشرقى والغربى، ويكون مدخل الجدار الذى يمثل مؤخر

المسجد على محور المحراب فى جدار القبلة، وهو الاسلوب الذى شاع فى العمارة الإسلامية فى المشرق والمغرب بعد ذلك وأصبح من أهم سماتها.

ويلاحظ أن الرسول ﷺ حافظ على وجود المدخلين الشرقى والغربى فى عمارة المسجد النبوى سواء قبل أو بعد تحويل القبلة، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فى نص السمهودى الذى تقدم ذكره «. . . وباب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة ويقال باب الرحمة، والباب الذى كان يدخل منه رسول الله ﷺ، وهو باب آل عثمان اليوم، وهذان البابان لم يغيرا بعد أن صرفت القبلة. .»، ويعزى هذا الأمر إلى عدم ارتباطهما بجدار القبلة سواء القديم أو الحديث.

زيادة مساحة المسجد عقب غزوة خيبر:

أمر الرسول ﷺ بعد نحو سبع سنوات بزيادة مساحة المسجد النبوى، وذلك عقب عودته ﷺ من غزوة خيبر، وذلك نتيجة تزايد أعداد المصلين عقب صلح الحديبية، فزاد فى شرقيه بمقدار عشرة أذرع أو اسطوانة، وزاد فى غربيه بمقدار عشرين ذراعًا أو اسطوانتين، وزاد فى شماليه بمقدار أربعين ذراعًا، ولم يزد ﷺ فى الجهة الجنوبية حيث يوجد جدار القبلة، وأصبح المسجد بعد هذه الزيادة التى تعد الأخيرة فى حياة النبى ﷺ يشغل مساحة مربعة. يبلغ طول ضلعها مائة ذراع(١١٠).

جاء فى صحيح البخارى «أن المسجد كان على عهد رسول الله مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل»(١١١).

ويرى أحمد فكرى بعد استعراض عدة محاولات لرسم تخطيط المسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ من قبل كريزويل (Creswell)، وبوتى (Pauty)، ومحمود عكوش ونقدها أن ظلة القبلة فى المسجد كانت تنقسم إلى ثلاث بلاطات تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، وعشر بلاطات تمتد من الشمال إلى الجنوب عمودية بالنسبة لجدار القبلة، وكان كل صف منها يشتمل على تسع سوار من جذوع النخل، وقد اعتمد أحمد فكرى فى ذلك على ما أورده السمهودى

من أنه كان بالمسجد على عهد الرسول ﷺ خمسة أساطين عن يسار المنبر وأربعة عن يمينه»(١١٢).

تحصيب المسجد النبوى:

أما فيما يتعلق بتحصيب المسجد الشريف، فقد نقل السمهودى «روى أبو داود فى سننه عن أبى الوليد قال: سألت ابن عمر عن الحصباء الذى فى المسجد، فقال مطرنا ذات ليلة، فأصبحت الأرض مبتلة، فجعل الرجل يأتى بالحصباء فى ثوبه ويبسطه تحته، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: ما أحسن هذا؟ وهو صريح فى جعل الحصباء فى المسجد فى زمنه ﷺ»(١١٣).

وقد نقل السمهودى أيضًا «والذى يقتضيه كلام المؤرخين أن تحصيب المسجد إنما حدث فى زمان عمر بن الخطاب، فقد روى يحيى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن الأزهرى قال: قال عمر بن الخطاب حين بنى مسجد رسول الله: ماتدرى ما نفرش فى مسجدنا، فقيل له: إفرش الخصف والحصر، قال: هذا الوادى المبارك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول «العقيق واد مبارك» قال: فحصبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه»(١١٤).

الآذان والمؤذن والمئذنة وفكر الرسول ﷺ:

«الآذان»

كان المسلمون فى عهد الرسول ﷺ يجتمعون فى المسجد النبوى لأداء فريضة الصلاة عندما تحين مواقيتها بغير دعوة لقلة عددهم من جهة، ولاستمرار تواجدهم مع الرسول ﷺ ومصاحبتهم له من جهة أخرى، ولما انتشر الإسلام بين أهل المدينة والقبائل الضاربة حولها تشاوروا فى أن ينصبوا علامة يعرفون بها وقت صلاة الرسول ﷺ كيلا تفوتهم الجماعة، قال ابن سعد «أخبرنا محمد بن عمر الأسلمى، أخبرنا سليمان بن سليم القارى عن سليمان بن سحيم عن نافع بن جبير قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: وحدثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم قال: وحدثنا معمر بن راشد عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قالوا: كان الناس فى عهد النبى، ﷺ، قبل أن يؤمر بالأذان ينادى منادى النبى، ﷺ، الصلاة جامعة، فيجتمع الناس، فلما صرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان...»، فأشار بعضهم بالناقوس فقال «هو للنصارى» وأشار بعضهم بالبوق فقال «هو لليهود»، وأشار بعضهم بالدف فقال «هو للروم» وأشار بعضهم بإيقاد النار فقال «ذلك للمجوس» وأشار بعضهم بنصب راية فلم يعجبه ذلك، فبات عبد الله بن زيد فرأى فى نومه ملكا علمه الآذان والإقامة، فأخبر الرسول ﷺ بذلك وقد وافقت الرؤيا الوحى[١١٥].

مما تقدم يتضح أن الرسول ﷺ كانت له فلسفة خاصة فى العديد من المسائل التى تتعلق بالعقيدة الإسلامية مثل التخطيط والعمارة بالنسبة للمسجد النبوى، والقبلة والآذان وغير ذلك من المسائل التى رغب الرسول ﷺ فى أن تكون مستمدة من روح العقيدة الإسلامية من جهة، وغير مستلهمة من الملل السابقة

كما يتضح فى النص الذى تقدم ذكره من جهة أخرى، أى أن تكون هذه الأفكار ذات صبغة إسلامية خالصة.

الأذان لغة واصطلاحًا:

الآذان اسم مصدر من التأذين وهو لغة: الاعلام.

وشرعا: الاعلام بوقت الصلاة بوجه مخصوص معروف، ويطلق أيضًا على الألفاظ المخصوصة المعروفة(١١٦).

جاء فى فقه السنة فى تعريف الأذان ما نصه «هو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة ويحصل به الدعاء إلى الجماعة، وإظهار شعائر الإسلام، وهو واجب، أومندوب.

قال القرطبى وغيره: الأذان ـ على قلة ألفاظه ـ مشتمل على مسائل العقيدة، لأنه بدأ بالأكبرية، وهى تتضمن وجود الله وكماله، ثم ثنى بالتوحيد، ونفى الشريك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة، عقب الشهادة بالرسالة، لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول ﷺ، ثم دعا إلى الفلاح، وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيدا»(١١٧).

ويقال فيه: الآذان، والأذين، والإيذان، قال الهروى قال: وقال شيخى الأذين هو المؤذن المعلم بأوقات الصلاة، فعيل بمعنى مفعل.

وقال الأزهرى فى شرح ألفاظ المختصر الأذان: اسم من قولك: آذنت فلانا بكذا أوذنه إيذانا، أى أعلمته إعلاما إعلام الصلاة(١١٨).

قال ابن الاثير: وقد ورد فى الحديث ذكر الأذان وهو الاعلام بالشىء، يقال فيه اذن يؤذن ايذانا، واذن يؤذن تأذينا، والمشدد مخصوص فى الاستعمال باعلام وقت الصلاة، والاذان: الاقامة، ويقال: أذنت فلانا تأذينا، أى رددته، قال ابن برى شاهد الأذان قول الفرزدق:

حتى علا فى سور كل مدينة مناد ينادى فوقها بأذان

والأذان، والأذين، والتأذين: النداء إلى الصلاة، وهو الاعلام بها وبوقتها[١١٩] وفى قول: اذن المؤذن تأذينا وأذانا، أى: اعلم الناس بوقت الصلاة، وضع الاسم موضع المصدر.

قال واصل: هذا من الأذن، كأنه يلقى فى آذان الناس بصوته، ما اذا سمعوه علموا أنهم قد ندبوا إلى الصلاة[١٢٠].

واذن للتكثير أى: نادى مرارا[١٢١].

ويوم الاذان: يوم القيامة[١٢٢].

وفى القرآن الكريم فى سورة التوبة:

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[١٢٣].

وفى سورة الأعراف ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[١٢٤].

وفى سورة يوسف ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾[١٢٥].

وفى سورة الحج ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[١٢٦].

وفى سورة المائدة ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾[١٢٧].

وقوله عز وجل فى سورة الجمعة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١٢٨).

ويذكر جرير فى هجاء الاخطل:

هل تشهدون من المشاعر مشعرا او تسمعون من الآذان اذينا(١٢٩)

والحارث بن حلزة يقول:

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

اذن المؤذن بالصلاة أعلم بها(١٣٠).

ثبوت الأذان بالقرآن والسنة:

أصل الأذان بمعناه الاصطلاحى ثابت بالقرآن الكريم فى سورة المائدة ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(١٣١).

وفى سورة الجمعة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾(١٣٢).

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الأذان مأمور به، قال النبى ﷺ لمالك بن الحويرث وصاحبه: «إذا حضرت الصلاة فليؤذن احدكما، وليؤمكما اكبركما»(١٣٣).

وفى الحديث أيضا: «ما من ثلاثة لا يؤذنون ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان»(١٣٤).

ويذكر الشوكانى أنه يستدل بهذا الحديث على وجوب الأذان والاقامة لأن الترك الذى هو نوع من استحواذ الشيطان يجب تجنبه(١٣٥).

كيفيات ورود الأذان:

ورد الأذان بكيفيات ثلاث:

أولاً: تربيع التكبير الأول، وتثنية باقى الأذان، بلا ترجيع ماعدا كلمة التوحيد، فيكون عدد كلماته خمس عشرة كلمة لحديث عبد الله بن زيد المتقدم.

ثانيًا: تربيع التكبير، وترجيع كل من الشهادتين، بمعنى أن يقول المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، يخفض بها صوته، ثم يعيدها مع الصوت، فعن أبى محذورة، أن النبى ﷺ علمه الأذان تسع عشرة كلمة.

ثالثًا: تثنية التكبير، مع ترجيع الشهادتين فيكون عدد كلماته سبع عشرة كلمة، لما رواه مسلم، عن أبى محذورة: أن رسول الله ﷺ علمه هذا الأذان:

«الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، ثم يعود، فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله ـ مرتين ـ، أشهد أن محمدا رسول الله ـ مرتين ـ حى على الصلاة ـ مرتين ـ، حى على الفلاح ـ مرتين ـ الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله[١٣٦].

المـــؤذن:

ورد ذكر المؤذن فى القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة الأعراف ﴿ **وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾(١٣٧).

وفى قوله عز وجل فى سورة يوسف ﴿ **فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ** ﴾(١٣٨).

ولقد ورد فى معاجم اللغة الأذين بمعنى المؤذن فى البيت:

طهور الحصى كانت اذينا ولم تكن　　بهـا ريبـة مـا يخـــاف تريـــب

وبيت امرئ القيس:

وانـى أذيـن أن رجعـت مملكـــا　　بسـير تـرى فيـه الغرانـــق ازورا

قال جرير يهجو الاخطل:

هل تشهدون من المشاعر مشعـــرا　　أو تسمعـون مـن الاذان أذينـــا؟

ويروى هذا البيت ابن برى، والأذين ههنا بمعنى المؤذن، والأذين بمعنى الأذان أيضا، قال والاذين أيضا المؤذن للصلاة، والداعى: المؤذن.

ولقد عرف بمكة قبل الإسلام مؤذنون كانوا يقومون بدعوة الناس إلى الاجتماع فى الملأ غير أن هذا المصطلح قد اقتصر بعد ظهور الإسلام وسن الأذان على المؤذن للصلاة(١٣٩).

وظيفة المؤذن:

تعد وظيفة المؤذن من بين الوظائف الدينية الهامة الخاصة بأداء شعائر الصلاة فى المساجد والجوامع والمدارس والخوانق والأربطة وغيرها من المنشآت الدينية الهامة التى تقام فيها الصلاة والصلاة الجامعة، ويؤذن فيها للصلاة، ونظرا لصلة المؤذن بالصلاة كانت هذه الوظيفة موضع عناية المسلمين، وقد ذكر ابن قدامة: قال عمر رضى الله عنه «لولا الخلافة لأذنت»(١٤٠).

المؤذن خلال عهد الرسول ﷺ:

يعد بلال بن رباح رضى الله عنه أول من أذن لرسول الله ﷺ، وكان يؤذن له فى حياته سفرا وحضرا فقد أورد ابن سعد مانصه «أول من أذن بلال[١٤١]، وكما أذن بلال لرسول الله ﷺ بالمدينة أذن له يوم الفتح بمكة، وفى ذلك أورد ابن سعد «أن رسول الله ﷺ أمر بلال يؤذن يوم الفتح على ظهر الكعبة فأذن على ظهرها»[١٤٢].

وكان ابن أم مكتوم ثانى اثنين أذنا لرسول الله ﷺ وهو عمرو بن قيس كما يذكره أهل العراق، وهشام بن محمد بن السائب، وقيل عبد الله بن قيس كما يذكره أهل المدينة، وكان ضرير البصر، ورد فى صحيح البخارى «كان ابن أم مكتوم يؤذن لرسول الله ﷺ وهو أعمى»[١٤٣].

وقد أذن لرسول الله ﷺ بمكة بعد الفتح أبو محذورة القرشى الجمحى واسمه أوس وقيل سمرة بن معير بن لوذان أقام بمكة ومات بها، ذكره ابن الأثير فقال «أن رسول الله ﷺ أقعده، وألقى عليه الأذان حرفا حرفا»[١٤٤].

ولقد أذن لرسول الله ﷺ سعد القرظ بقباء[١٤٥].

ولقد أذن بلال بعد رسول الله ﷺ لأبى بكر الصديق رضى الله عنه، وقد أراد عمر بن الخطاب أن يؤذن له فأبى عليه فقال له إلى من ترى أن أجعل النداء فقال إلى سعد القرظ فإنه قد أذن لرسول الله ﷺ فدعاه عمر فجعل النداء إليه وإلى عقبه من بعده[١٤٦].

جاء أن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يؤذن بين يدى رسول الله ﷺ عند المنبر[١٤٧].

ويحيل عبد الحى الكتانى إلى «كنز العمال» خبر مؤذن غير أولئك هو ثوبان مولى النبى ﷺ[١٤٨].

وأذن لرسول الله ﷺ زياد بن الحارث الصدائى لكنه لم يكن راتبا[١٤٩].

قال ابن حجر وروى الدارمى أن النبى ﷺ أمر نحواً من عشرين رجلاً فأذنوا، ومن الواضح أن هؤلاء لم يشتهروا لأنهم لم يؤذنوا للنبى ﷺ إلا نادرًا، وقد أورد لبيب السعيد نقلاً عن صاحب السيرة الحلبية مؤذنًا لعله من هؤلاء «لايرد عبد العزيز بن الأصم بين مؤذنيه ﷺ، فإنه اذن بين يديه ﷺ مرة واحدة»[١٥٠].

توارث الآذان:

كان توارث الآذان منذ بداية العصر الإسلامى، فقد بقى الآذن بمكة فى نسل أبى محذورة مؤذن رسول الله ﷺ وأولاده من بعده[١٥١].

كما أورد بن سعد فى طبقاته كما تقدم أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه جعل الآذان بعد بلال إلى سعد القرظ الذى أذن لرسول الله ﷺ وإلى عقبه من بعده[١٥٢].

المئذنـة:

هذا فيما يتعلق بالأذان والمؤذن أما فيما يتعلق بالمئذنة فقد كان المسجد النبوى يشتمل على كتلة بنائية مربعة مرتفعة فوق ركن المسجد، حيث يتيسر إقامتها يرقى إليها بلال رضى الله عنه لإعلان الأذان من خلال أقتاب (درجات) وذلك منذ السنة الأولى للهنجرة، قال ابن سعد «أخبرنا محمد بن عمر، حدثنى معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال أخبرنى من سمع النوار أم زيد بن ثابت تقول كان بيتى أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلى أن بنى رسول الله مسجده، فكان يؤذن بعد على ظهر المسجد وقد رفع له شيء فوق ظهره»[١٥٣]. (شكل ٨، ٩).

ويذكر السمهودى مرحلة أكثر تطوراً واستقلالية عن مكان الأذان، حيث قال: كان فى دار عبد الله بن عمر اسطوانة فى قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يرقى إليها بأقتاب، والاسطوانة مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطمار، وهى فى منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر[١٥٤]. (شكل ١٠).

مما تقدم يتضح أن المئذنة انتقلت من مجرد كتلة معمارية بسيطة فى المسجد النبوى إلى كيان معمارى مستقل يعرف بالمطمار وهو عبارة عن تكوين معمارى مربع من قاعدته إلى أعلاه يرقى إليه المؤذن من خلال أقتاب تلتصق به من إحدى جهاته الأربع ووجود الأقتاب يعنى أن المطمار كان عاليًا، وهو أمر تتحقق به الفائدة الانتفاعية التى تتمثل فى إعلام أكبر عدد من سكان المدينة المنورة، وعند تأصيل التكوين المربع للمئذنة نجد أن هذا التصميم كان معروفا فى الجزيرة العربية قبل الإسلام، فقد كان للعرب قبل الإسلام فن معمارى ازدهر وانتشر خارج الجزيرة العربية تمثل فى عمارة الحصون والآطام وكانت فى كثير من الأحيان ذات تخطيط مربع، وتتألف من عدة طبقات، ويحف بها أسوار ولها رحاب ومداخل

حصينة، وكانت هذه الآطام تتخذ مساكن للقبائل والبطون وأسواقا ومستودعات وأبراجا للمراقبة، ولقد كان بالمدينة المنورة على عصر الرسول ﷺ حصون وآطام، وإضافة إلى الآطام فإن الكعبة عبارة عن تكوين معمارى مربع، قال ابن عبد الحكم عند ذكره دار عبد الله بن عمرو بن العاص «وبنى فيها قصرا على تربيع الكعبة الأولى»(١٥٥).

المستشرقون وعمارة المئذنة:

الواقع أن المستشرقين فيما عدا Sauvaget وتبعهم فى ذلك العرب المحدثون فى منهج البحث عن أصل المئذنة وحلقات تطوراتها الأولى ساروا على نفس الأسلوب الذى سارت عليه بقية دراسات الوحدات والعناصر المعمارية الإسلامية خلال عصرها المبكر، وهو الأسلوب الذى يهدف إلى نسبة مصدرها إلى مصادر غير عربية وإسلامية وذلك عن طريق محاولات التأصيل والدراسات المقارنة للوحدات والعناصر المعمارية فى العمائر السابقة على الإسلام خاصة فى العمائر الساسانية والهندية والرومانية والبيزنطية، وأذكر من بين آراء المستشرقين رأى العالم Creswell من خلال دراسة تناول فيها «تطور المئذنة»، حيث انتهى فيها إلى أن فكرة المئذنة نشأت فى سوريا خلال العصر الأموى، وأن المئذنة الأولى اشتقت معماريا من برج الكنيسة السورية(١٥٦).

وهذه النظرية نشرها Marcais فى عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وقبلها Shoisy ثم Thiersch فيما يتعلق بمآذن شمال إفريقية والأندلس على الرغم من أن هذه المنطقة كانت تشتمل على مثلين على غير هذا النمط المربع أحدهما فى الجامع الكبير بأجدابية فى برقة الإقليم والآخر فى جامع طرابلس ٣٠٠هـ/ ٩١٢م(١٥٧).

والواقع أن Creswell ومن تبعه من المستشرقين والعرب لم يتجهوا الوجهة الصحيحة فى دراسة أصل وتطور المئذنة، حيث كان ينبغى عليهم أن يتجهوا ببصرهم مباشرة إلى المدينة المنورة والمسجد النبوى الذى يعد أصل عمارة المسجد فى العالم الإسلامى وليس إلى سوريا والجامع الأموى بدمشق، وهو الأمر الذى

سوف يتأكد لنا تماما عند ذكر المسجد النبوى فى خلافة عثمان رضى الله عنه وتشييد المآذن المربعة من واقع النصوص التاريخية.

المستشرقون وعمل المنبر:

تطرق المستشرقون وفى مقدمتهم Backer إلى أن الرسول ﷺ لم يتخذ منبرا إلا عندما أصبح رجلا عظيما يستقبل السفارات، وذهب Creswell إلى أن المنبر كانت تنقصه الدلالة الدينية فى الأيام المبكرة من الإسلام(١٥٨).

والواقع أنه من خلال النصوص التاريخية يتضح أن الرسول ﷺ كان يستند إلى جذع نخل عندما يخطب الناس نقل السمهودى فى خبر الجذع الذى كان يخطب إليه ﷺ «... عن ابن عمر قال: كان النبى ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع، فأتاه فمسح يده عليه»(١٥٩). ثم فى مرحلة لاحقة دعت الضرورة الصحية من جهة، وكثرة الناس وحاجتهم إلى رؤيته وسماعه من جهة أخرى إلى اتخاذ المنبر، وقد ورد أن صناعته كانت من خشب الطرفاء، وقيل أن الطرفاء هى العرعر، وقيل من خشب الآثل، وقد جاء فى صحيح البخارى فى باب الاستعانة بالنجار والصناع فى أعواد المنبر والمسجد «حدثنا قتيبة قال حدثنا عبد العزيز عن أبى حازم عن سهل قال بعث رسول الله ﷺ إلى امرأة مرى غلامك النجار يعمل لى أعوادا أجلس عليهن... عن جابر أن امرأة قالت يا رسول الله ألا أجعل لك شيئا تقعد عليه فإن لى غلاما نجارا قال إن شئت عملت المنبر(١٦٠).

وكان المنبر يتألف من ثلاث درجات عبارة عن درجتين ومجلس، قال ابن النجار «وطول منبر النبى ﷺ ذراعان وشبر وثلاث أصابع، وعرضه ذراع راجح، وطول صدره وهو مستند النبى ﷺ ذراع وطول رمانتى المنبر التى يمسكها رسول الله ﷺ إذا جلس يخطب شبر وإصبعان»(١٦١).

أول من كسا المنبر:

وقد نقل السمهودى «وروى يحيى عن ابن أبى الزناد أن النبى ﷺ كان يجلس

على المجلس، ويضع رجليه على الدرجة السفلى، فلما ولى أبو بكر قام على الدرجة الثانية، ووضع رجليه على الدرجة السفلى، فلما ولى عمر قام على الدرحة السفلى، ووضع رجليه على الأرض إذا قعد، فلما ولى عثمان فعل ذلك ست سنين من خلافته، ثم علا إلى موضع النبى ﷺ. ثم قال: قالوا فلما استخلف معاوية زاد فى المنبر، فجعل له ست درجات، وكان عثمان أول من كسا المنبر قبطية»(١٦٢).

المستشرقون وتخطيط المسجد النبوى:

تطرق المستشرقون وفى مقدمتهم Creswell إلى رسم مخططات للمسجد النبوى فى أثناء حياة الرسول ﷺ، غير أنه استنادا لما تقدم من نصوص نجد أن الرسول ﷺ لم يلجأ لبناء مسجد يكون فيه جدار القبلة أقل من جدار المؤخرة، أو تخطيط مساجد يكون فيها المخطط على هيئة دائرية أو شبه المنحرف، أو المثلث، حيث أن كل هذه الأشكال لا تؤدى إلى امتداد صفوف المصلين فى خط مستقيم يمتد خلف الإمام موازيا لجدار القبلة، وهو الامتداد الذى روعى عند تأسيس المسجد النبوى قبل وبعد تحويل القبلة إنطلاقا من القرآن والسنة(١٦٣).

وتفصيل ذلك كما يذكر الشهرى أن Creswell أعد مخططا للمسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ (شكل ١١) رفضه أحمد فكرى(١٦٤) وقال عنه أنه من نسج الخيال، وكان فى هذا الرفض ما يغنى لولا أن تشابه المخططات التى أعدها كل من فريد شافعى (شكل ١٢) و سعاد ماهر (شكل ١٣)، لمخطط Creswell قد دعانى كما يذكر الشهرى إلى دراسة هذه المخططات ومقارنتها بمخطط أحمد فكرى (شكل ١٤) من ناحية وبما اتضح لى من خلال دراستى للمسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ من ناحية ثانية(١٦٥). (شكل ١٥، ١٦).

يعلق الشهرى على مخطط Creswell والمخططات المشابهة فيرى أنه قصر ظلة مؤخر المسجد، وهى الظلة الأولى قبل تحويل القبلة على جزء من بلاطة واحدة تشغل الجانب الشمالى الغربى من المسجد، ولا يعقل أن يكون المسجد قد بقى دون ظلة تحمى المسلمين من الحر والمطر قبل تحويل القبلة، ولا يظن أن الرسول ﷺ قد هدم هذه الظلة الشمالية عند تحويل القبلة إلى الظلة الجنوبية إلا إذا كانت

جدران المسجد كلها قد تعرضت للتغيير عقب تحويل القبلة، وهو احتمال له وجاهته، وعلى ذلك فإن ما يحظى بالقبول والتأييد هو أن هذا الجزء المخصص للصلاة قبل تحويل القبلة والذى كان مسقوفًا بسعف النخيل أو غيره قد خصص لأهل الصفة ـ لنومهم وراحتهم ـ دون بقية المسجد، وكان عددهم يتراوح بين السبعين والمائة، ولم تشر النصوص الكثيرة التى وجدها واطلع عليها ما يشير إلى تحديد موقعها من مؤخر المسجد، مما يزكى فى اعتقاده أن الظلة كانت بامتداد الجدار الشمالى للمسجد، وقد جاء موقع هذه الظلة فى المخطط الذى أعده محمود عكوش (شكل ١٧). ومخطط المسجد النبوى بعد عمارة السلطان عبد المجيد له سنة ١٢٧٧ هـ فى الجانب الشمالى الشرقى من المسجد بخلاف Creswell ومن أخذ برأيه فى الجهة الشمالية الغربية على غير سند فى كلتا الحالتين(١٦٦).

أما فيما يتعلق بمقدم المسجد فيرى الشهرى(١٦٧) أن المخططات قد قصرت هذا المخطط على بلاطتين فقط، بينما مقدم المسجد كان يتألف من ثلاث بلاطات ومثلها أيضا فى مؤخر المسجد، وهو فى ذلك يتفق مع أحمد فكرى فى مشروعه لرسم تخطيط المسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ.

أما فيما يتعلق ببيوت أمهات المؤمنين كلها فى الجهة الشرقية من المسجد على إمتداد جدار المسجد الشرقى حتى باب جبريل عليه السلام فإنه يرى أن الكثير من الروايات تؤيد امتداد بيوت أمهات المؤمنين إلى الجنوب من حجرة عائشة رضى الله عنها على الرغم من تأييد بعض الروايات لوجودها فى الجهة الشرقية من المسجد، ومنها دار حفصة رضى الله عنها، وقد دخل بعضها فى المسجد النبوى فى عمارة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك، بعد اتفاق عمر بن العزيز رضى الله عنه مع أصحابها على فتح الخوخة المعروفة بخوخة آل عمر(١٦٨).

ويرى الشهرى(١٦٩) أن فى نقد أحمد فكرى لمخطط كل من Pauty (شكل

١٨) ومحمود عكوش (شكل ١٥) ما يفى الغرض، ولاسيما وأن محمود عكوش قد شارك المخططات السابقة فى قصره ظلة مؤخر المسجد على جانب أمام الجدار الشمالى، وفى ذلك يذكر أحمد فكرى أن Pauty حاول أن يرسم شكلا آخر للمسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ، فلم يكن أكثر توفيقا من Creswell، إذ رسم حدود المسجد المربعة مختلفة الشكل متعرجة الأضلاع، على الرغم من أنه جعل للقبلة جدارا مستقيما فى داخل المربع المتعرج، وجعل أمامها ظلة، وجعل للمسجد بابا واحدا فى مؤخره ويرى أحمد فكرى أن مشروع Pau-ty لا يستند إلى الحقائق التاريخية، ولهذا فإنه لا يعدو أن يكون أيضا من نسج الخيال، ثم يعلق Creswell على رسم محمود عكوش قائلا أن هذا الرسم مصغر غير واضح المعالم، وهو فوق هذا يشتمل على أربعة أخطاء: الأول، أنه جعل لأهل الصفة ظلة صغيرة محدودة فى ركن شمال المسجد، فى حين أن المعروف أنه كان للمسجد مؤخر، هو بيت صلاته الأول الذى كان متجها إلى بيت المقدس وأن ظلته كانت تمتد من المشرق إلى المغرب، وأن أهل الصفة كانت لهم موضع من هذه الظلة، والخطأ الثانى أنه جعل حدود المسجد، بعد زيادته الأولى مائة ذراع، وقد أوضحت أنها تسعون ذراعا من الشرق إلى الغرب، وكان مائة ذراع من القبلة إلى الشام، والخطأ الثالث أنه جعل زيادة الرسول ﷺ للمسجد قدر اسطوانتين فى شرقية، واسطوانة فى غربيه وكانت الزيادة عكس ذلك فى شرقيه بمقدار عشرة أذرع أو اسطوانة وفى غربيه بمقدار عشرين ذراعا، أو اسطوانتين، والخطأ الرابع أنه فتح أبواب المسجد الثلاثة فى غير مواضعها منه، وهى مازالت محتفظة بهذه المواضع إلى اليوم(١٧٠).

ويلاحظ الشهرى على مخطط أحمد فكرى أنه قصر طول جدار القبلة الممتد من الشرق إلى الغرب على تسعين ذراعا، وهو ما تقدم ذكره، ويرى أن فى هذا إهمال لكثير من الروايات التى تؤيد تربيع المسجد، وتنص صراحة على أنه مائة فى مائة ذراع، هذا فضلا عن أن مخططه يحتوى على عشر بلاطات بكل من الظلتين، وقد ورد أن بعد الاسطوانات عن بعضها عشرة أذرع، وفى هذا تأييد

لكون جدار القبلة مائة ذراع، ولكنه يذكر فى موضع آخر أن طوله تسعون ذراعا[١٧١].

كما يلاحظ أن باب النساء الموقع على المخطط لم يفتح إلا فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بالإضافة إلى إهماله للباب الذى نقل بعد تحويل القبلة من الجدار الجنوبى إلى منتصف الجدار الشمالى علما بأن الأبواب الثابت وجودها فى عهد الرسول ﷺ ثلاثة أبواب باب فى خلفه وباب عن يمين المصلى وباب عن يساره[١٧٢].

هذا ويرى الشهرى أن المخطط الذى أعده حسن الباشا (شكل ١٩) عن المسجد النبوى بعد تحويل القبلة رغم اشتماله على ظلة جنوبية وأخرى شمالية، إلا أنه قصر البلاطات فى كل منهما على بلاطتين، وهو مخالف لعدد البلاطات الثلاث التى ثبت وجودها فى ظلة القبلة، بالإضافة إلى أنه جعل بين الحجرات التى ظهرت بالمخطط وبين المسجد طريقا ضيقا، وهو مخالف لما ثبت من أن الحجرات شرعت فى المسجد النبوى بعد الزيادة الأخيرة سنة سبع من الهجرة، هذا فضلا عن قصره الحجرات على حجرتين فقط[١٧٣].

كما يرى أن المخطط الذى أعده أيضا حسن الباشا (شكل ٢٠) فى كتابه المدخل عن المسجد النبوى فى فجر الإسلام فإنه لا يشير إلا إلى تحديد موضع الزيادات من المسجد النبوى دون ذكر عدد الأذرع المضافة فى كل زيادة سواء فى المتن أو على الرسم، إلا أنه يدل بشكل واضح على نسبة الزيادات، كما أنه تدارك ما فاته فى المخطط الأول فجعل بيوت أمهات المؤمنين ملاصقة لجدار المسجد الشرقى، وإن كان قد قصرها على ثمانى حجرات بدلا من تسع[١٧٤]. أنظر أيضا (شكل ٢١).

دور (بيوت) الرسول ﷺ:

تعد دور الرسول ﷺ الملحقة بالمسجد النبوى بالمدينة المنورة من جهته الشرقية الأمثلة الأولى للعمارة السكنية فى العصر الإسلامى، وتتكون هذه الدور من تسع حجرات عبارة عن بيوت تضم فى داخلها هذه الحجرات، وقد شيدت فى أوقات مختلفة، نقل السمهودى «انه ﷺ لما بنى مسجده الشريف بنى بيتين لزوجتيه عائشة وسودة رضى الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل. قال ابن النجار: وكان لبيت عائشة مصراع واحد من عرعر أو ساج، قال: ولما تزوج رسول الله ﷺ بنى لهن حجرًا، وهى تسعة أبيات وهى ما بين بيت عائشة رضى الله عنها إلى الباب الذى يلى باب النبى ﷺ[١٧٥]، وتتسم هذه الدور ببساطتها من حيث التصميم والعمارة شأنها فى ذلك شأن المسجد النبوى عند تأسيسه، فقد جاء كل بيت يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها من ٣-٣,٥م يغطيها سقف منخفض، وقد جاءت جدرانها من خشب العرعر، وأكسية من الشعر، يتقدمها مدخل صغير بسيط لا حلق له[١٧٦].

وقد نقل السمهودى «وورد أن بابه ﷺ كان يقرع بالأظافير: أى لاحلق له»[١٧٧]. وقال ابن النجار فى الدرة الثمينة على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل»[١٧٨].

وجاء فى إعلام الساجد «وبنى بيوتا إلى جانبه ولما فرغ من بنائه بنى بعائشة فى البيت الذى بناه لها شرقى المسجد، وهو مكان حجرته اليوم.. وقال الحافظ شمس الدين الذهبى.. لم يبلغنا أنه عليه السلام بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد، ولا أحسبه بعد ذلك إنما كان يريد بيتا واحدا حينئذ لسودة أم المؤمنين، ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى بعائشة فى شوال سنة اثنتين، وكأنه عليه

السلام بناها فى أزمان مختلفة، وقال السهيلى: قال الحسن البصرى كنت أدخل بيوت النبى ﷺ وأنا غلام مراهق وأنال السقف بيدى. وكان لكل بيت حجرة وكانت حجره من أكسية من شعر مربوطة فى خشب عرعر(١٧٩).

وقد أورد السمهودى «وقد اضيفت البيوت فى القرآن العظيم مرة إليه ﷺ ومره إليهن، والظاهر أن الإضافة الأولى هى الحقيقية، لما تقدم من أن النبى ﷺ بناها، ولأنه كان يجب عليه إسكانهن، غير أن لهن فيها بعده حق السكنى لحبسهن لحقه ﷺ»(١٨٠).

قال تعالى فى سورة الأحزاب ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾.

وقال تعالى فى سورة الأحزاب أيضًا ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا** ﴾.

المدينة المنورة وعمائرها الإسلامية فى عهد الرسول ﷺ:

غدت المدينة المنورة عقب هجرة الرسول ﷺ إليها عاصمة وحاضرة للدولة الإسلامية الناشئة وقد شيد بها الرسول ﷺ مسجده الجامع ومساكنه فى موضع آثر الرسول ﷺأن يتوسط المدينة المنورة والأنصار حتى يكون المسجد الجامع بمثابة القلب من المدينة، قال ابن النجار «اختار رسول الله ﷺ المنازل فنزل فى منزله ومسجده فأراد أن يتوسط الأنصار كلها فأحدقت به الأبصار»(١٨١).

وقد اختطت القبائل من المهاجرين حول المسجد الجامع والمساكن فى الأرض التى وهبها الأنصار للرسول ﷺ، قال ياقوت الحموى «فلما قدم رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة مهاجرا أقطع الناس الدور والرباع»(١٨٢).

وتوزعت المساجد على الخطط، حيث بلغ عددها تسعة مساجد للصلوات الخمس، كما شيد الرسول ﷺ مصلى العيد، وبذلك تكاملت عمائر المدينة المنورة الدينية والمدنية(١٨٣).

هذا وقد اشتملت كل خطة على مقبرة خاصة بها، وشيد الرسول ﷺ السوق، نقل السمهودى فيما جاء فى سوق المدينة الذى تصدق به النبى ﷺ على المسلمين «روى عمر بن شبة عن عطاء بن يسار قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يجعل للمدينة سوقا أتى سوق بنى قينقاع، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله وقال: هذا سوقكم، فلا يضيق، ولا يؤخذ فيه خراج. وروى ابن زبالة عن يزيد بن عبيد الله بن قسيط أن السوق كانت فى بنى قينقاع حتى حول السوق بعد

ذلك»[١٨٤]، وأقر نظام المراقبة فيه، وربطت الطرق الرئيسية والفرعية بين هذه التكوينات المعمارية الدينية والمدنية والجنائزية، وسن الرسول ﷺ إنشاء مقار للعلاج والتطبيب، فأمر بعد عودته من غزوة الخندق بوضع خيمة فى المسجد للتداوى، وخصصت بالمدينة على عهده دور للضيافة، واستقبال الوفود، وأقر اتخاذ الحبس ونظام الوقف، فقامت المدينة المنورة بدورها السياسى والدينى والإدارى، وبتشييد الخندق وتحصين جدران المنازل القريبة منة قامت المدينة المنورة بدورها الحربى[١٨٥].

الاستحكامات الحربية والتأثير الفارسى:

يعد حفر الخندق من التأثيرات التى انتقلت من الحضارة الساسانية إلى الحضارة الإسلامية قبل الفتوحات الإسلامية فى المشرق والمغرب، ويعد الخندق من العناصر الدفاعية الهامة فى العمارة الحربية (الدفاعية) لتحصين المدن والقلاع، فقد عرف المسلمون حفر الخنادق منذ فجر الإسلام بتأثير فارسى، إذ أحيطت المدينة المنورة فى أثناء غزوة الخندق سنة ٥ هـ/ ٦٢٦م بخندق نقل السمهودى فى أحداث السنة الخامسة من الهجرة عند ذكره غزوة الخندق «سميت بذلك لحفر النبى ﷺ الخندق بإشارة سلمان الفارسى، وتسمى بالأحزاب لاجتماع طوائف من المشركين فيها على الحرب، وهم الذين سماهم الله تعالى الأحزاب»(١٨٦)، قال الطبرى «فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة. فحدثت عن محمد بن عمر. قال: كان الذى أشار على رسول الله ﷺ بالخندق سلمان.. قال يارسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا(١٨٧). (شكل ٢٢).

وقد شارك الرسول ﷺ فى حفر الخندق مثلما شارك من قبل فى بناء المسجد النبوى بالمدينة المنورة والمساكن لكى يرغب المسلمين فى العمل فيه، واتسم عملهم بالدقة والإحكام. قال الطبرى «فعمل رسول الله ﷺ ترغيبا للمسلمين فى الأجر، وعمل فيه المسلمون: فدأب فيه ودأبوا.. وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه»(١٨٨). قال الطبرى «فحدثنا محمد بن باشر، قال: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة، قال: حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى، قال: حدثنى أبى عن أبيه، قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب من أجم الشيخين طرف بنى حارثة، حتى بلغ المذاد ثم قطعه أربعين ذراعًا بين كل عشرة،

فاحتق المهاجرون والانصار فى سلمان الفارسى ـ وكان رجلاً قويًا ـ فقالت الأنصار: سلمان منا، وقالت المهاجرون: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت. قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسلمان، وحذيفة بن اليمان، والنعمان بن مقرن المزنى، وستة من الأنصار، فى أربعين ذراعًا، فحفرنا تحت ذوياب حتى بلغنا الندى، فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا، وشقت علينا ـ فقلنا: ياسلمان، ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فأنا لا نحب أن نجاوز خطه فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ . . . فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان فى الخندق، وراقبنا نحن التسعة على شقة الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان، فضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابتيها ـ يعنى لابتى المدينة. . . فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون»(١٨٩). وقد قام الرسول ﷺ بتحصين جدران المنازل التى تقع قرب الخندق، واتخذ المعسكرات لجنده خارج المدينة مثل معسكر الجرف الذى يبعد ثلاثة أميال فى اتجاه الشمال مما يدل على اهتمامه الكبير بالناحية الدفاعية فكان ذلك بمثابة إقرار وسنة بتشييد العمارة الدفاعية التى أعدت من البناء الواجب شرعا(١٩٠).

ونقل السمهودى «وعملوا فى الخندق خمسة عشر يوما، وكان لقريش مابين راتج إلى مسجد الأحزاب، والأنصار ما بين مسجد الأحزاب إلى بنى سلمة، وللموالى ما بين راتج إلى بنى عبد الأشهل، فلما وصل القوم عسكروا بالجرف، وبعثوا رجلا من رجالهم، فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية، فما يجدون مدخلا، والناس متلبسون السلاح قد قاموا على أفواه الخنادق يرمون بالنبل والحجارة. .»(١٩١).

وقد أورد ابن الأثير «فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا»(١٩٢).

ويضيف ابن الأثير «. . . وتسلل عنه جماعة من المنافقين بغير علم رسول الله ﷺ، فأنزل الله فى ذلك: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١٩٣).

وكان الرجل من المسلمين إذا نابته نائبة لحاجة لابد منها يستأذن رسول الله ﷺ، فيقضى حاجته ثم يعود، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٩٤).

قال الله عز وجل فى سورة النور فيما يتعلق بالمؤمنين وحفر الخندق ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وقال تعالى أيضًا فى سورة النور فيما يتعلق بالمنافقين وحفر الخندق ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

مساجد الرسول ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك:

قال ابن هشام «مساجد الرسول: وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة: مسجد بتبوك، ومسجد بثنية مدران، ومسجد بذات الزراب، ومسجد بالأخضر، ومسجد بذات الخطمى، ومسجد بألاء، ومسجد بطرف البتراء. من ذنب كواكب، ومسجد بالشق، شق تارا، ومسجد بذى الجيفة، ومسجد بصدر حوض، ومسجد بالحجر، ومسجد الصعيد، ومسجد بالوادى، اليوم، وادى القرى، ومسجد بالرقعه من الشقة، شقة بنى عذرة، ومسجد بذى المروة، مسجد بالفيفاء، ومسجد بذى خشب»[١٩٥]. (أشكال ٢٣ - ٢٥).

أما تبوك التى نسب إليها المسجد الأول فقد ذكرها ياقوت الحموى بقوله «بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادى القرى والشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبى ﷺ، وأقام بها النبى، ﷺ، بتبوك أياما حتى صالحه أهلها»[١٩٦].

أما ثنية مدران فقد ذكرها ياقوت الحموى بقوله «بكسر الميم: موضع فى طريق تبوك من المدينة، بنى النبى، ﷺ، فيه مسجداً فى مسيره إلى تبوك»[١٩٧].

أما الزراب فقد ذكرها ياقوت الحموى بقوله «الزراب: موضع فيه مسجد رسول الله، ﷺ، بناه فى مسيره إلى تبوك من المدينة»[١٩٨].

أما مسجد الأخضر فقد أورده ياقوت بقوله «الأخضر: بضاد معجمة، بلفظ الأخضر من الألوان: منزل قرب تبوك بينه وبين وادى القرى، كان قد نزله رسول الله، ﷺ، فى مسيره إلى تبوك، وهناك مسجد فيه مصلى النبى، ﷺ»[١٩٩].

أما مسجد ذات الخطمى فقد ذكره ياقوت الحموى بقوله «الخطمى: ذات الخطمى: موضع فيه مسجد رسول الله، ﷺ، بناه فى مسيره إلى تبوك من المدينة. . .»[٢٠٠].

أما مسجد طرف البتراء فقد قال عنه ياقوت الحموى «البتراء. . . موضع ذكره فى غزوة النبى، ﷺ، لبنى لحيان، قال ابن هشام: سلك النبى، ﷺ. . . وذكر ابن اسحاق فى مساجد النبى، ﷺ، فى طريقه إلى تبوك فقال: ومسجد بطرف البتراء من ذنب الكواكب»[٢٠١].

كما أورد ياقوت الحموى «شق: بكسر أوله ويروى بالفتح، عن الغورى فى جامعه: اسم موضع. . وقيل هو الناحية، والشق، بالفتح، عن الزمخشرى، ويرويه بالكسر أيضًا: من حصون خيبر»[٢٠٢].

كذلك أورد «تاراء: بالراء، قال ابن إسحاق وهو يذكر مساجد النبى، ﷺ، بين المدينة وتبوك فقال ومسجد الشق شق تاراء، قال نصر: تاراء موضع بالشام»[٢٠٣].

أما مسجد ذى الجيفة فقد ذكره ياقوت الحموى بقوله «الجيفة: وهو ذو الجيفة: موضع بين المدينة وتبوك، بنى النبى، ﷺ، عنده مسجدا فى مسيره إلى تبوك»[٢٠٤].

هذا وقد أورد ياقوت «حوض بالفتح ثم السكون. . . هو اسم ماء لبنى طهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن بن قريط بن عبد بن أبى بكر بن كلاب إلى جنب جبل فى ناحية الرمل، وقد تقدم انه حوضاء ممدود. . .»[٢٠٥].

كما أورد «الحجر: بالكسر ثم السكون. . . ثم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام»[٢٠٦].

أما فيما يتعلق بمسجد الصعيد فقد أورد ياقوت الحموى «الصعيد: بالفتح ثم الكسر، قال الزجاج: الصعيد وجه الأرض. . . والصعيد: واد قرب وادى القرى فيه مسجد لرسول الله، ﷺ، عمره فى طريقه إلى تبوك. .»[٢٠٧].

كما أورد «وادى القرى. . . واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى، والنسبة إليه وادى. . . وفتحها النبى، ﷺ، سنة سبع عنوة ثم صولحوا على الجزية»(٢٠٨).

أما مسجد الرقعة فقد ذكره ياقوت الحموى بقوله «الرقعة: بالفتح ثم السكون: موضع قرب وادى القرى من الشقة شقة بنى عذرة، فيه مسجد للنبى، عليه الصلاة والسلام، عمره فى طريقه إلى تبوك سنة تسع للهجرة»(٢٠٩).

كما أورد «المروة: واحدة المرو، . . . وذو المروة: قرية بوادى القرى، وقيل: بين خشب ووادى القرى. . .»(٢١٠).

وقد أورد الطبرى فيما يتعلق بمسجد الفيفاء «ثم غزا يريد قريشًا، فسلك على نقب بنى دينار بن النجار، ثم على فيفاء الخبار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها: ذات الساق، فصلى عندها، فثم مسجده. .»(٢١١).

قال ياقوت الحموى «فيفاء: بالفتح وتكرير الفاء، الفيف: المفازة التى لاماء فيها من الاستواء والسعة. . . وقيل: الفيفاء الصحراء الملساء، وقد اضيف إلى عدة مواضع، منها: فيفاء الخبار. . . وهو بالعقيق. .»(٢١٢).

كما أورد «خشب: بضم أوله وثانيه. . . واد على مسيرة ليلة من المدينة، له ذكر كثير فى الحديث والمغازى»(٢١٣).

عمارة المسجد فى بلاد اليمن فى عهد الرسول ﷺ:

جامع صنعاء الكبير:

كانت بلاد اليمن فى طليعة البلاد التى شهدت إقامة المساجد الأولى فى صدر الإسلام وخاصة فى عهد الرسول ﷺ وفق ما ورد فى المصادر التاريخية، ويعد الجامع الكبير بصنعاء من أقدم مساجد بلاد اليمن، إذ تجمع المصادر التاريخية على تأسيسه فى حياة الرسول ﷺ حين بعث بالصحابى وبر بن يحنس الأنصارى واليًا على صنعاء فى عام ٦ هـ/ ٦٢٧م وأمره ببناء هذا المسجد، وقيل أن مؤسسه هو فروة بن مسيك المرادى، وقيل إبان بن سعيد بن العاص القرشى، وقيل غير ذلك(٢١٤). (شكل ٢٦).

وقد جاءت عمارة جامع صنعاء فى بدايتها بسيطة من الناحية المعمارية شأنها فى ذلك شأن عمارة المسجد النبوى فى مرحلته الأولى قبل تحويل القبلة، فقد كان يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٢م، يتوصل إليها من مدخل واحد، ثم تعرض المسجد إلى مراحل عديدة من التجديد والتعمير والإضافة خلال عصوره الإسلامية المتعاقبة(٢١٥).

الجامع الكبير بذمار:

أورد الرازى فى تاريخ مدينة صنعاء أن تأسيس مسجد ذمار كان بعد تأسيس مسجد صنعاء بأربعين يومًا، وقبل بناء جامع الجند، أى أنه يقع بين مسجدى صنعاء والجند حيث قال «كان بين عمارة مسجد صنعاء وبين مسجد ذمار أربعون يومًا، وهو المسجد الثانى ثم مسجد الجند»(٢١٦). شيد المسجد بحجر الحبش الأسود والجص، واستخدم الطابوق فى بناء المئذنة، وقد تعرض المسجد للعديد

من الإضافات والتجديدات خلال عصوره الإسلامية المتعاقبة شأنه فى ذلك شأن الجامع الكبير بصنعاء(٢١٧).

جامع الجند:

يعد جامع الجند من الجوامع التى شيدت خلال عهد الرسول ﷺ، بناه الصحابى معاذ بن جبل رضى الله عنه عندما توجه إلى بلاد اليمن، فقد أورد الرازى عند ذكره عمارة مسجد صنعاء قبل مسجد الجند «قال محمد بن داوود بن قيس: بنى مسجد صنعاء الجامع قبل مسجد الجند بستة أشهر بأمر رسول الله ﷺ فهو أفضل لقدمه عليه»(٢١٨).

وفى موضع آخر أورد «كان بين عمارة مسجد صنعاء وبين مسجد ذمار أربعون يوما وهو المسجد الثانى ثم مسجد الجند ومسجد رسول الله ﷺ قبلها»(٢١٩).

جاءت عمارة المسجد عند تأسيسه بسيطة شأنها فى ذلك شأن المسجد النبوى بالمدينة المنورة قبل تحويل القبلة ومسجد صنعاء الكبير ومسجد ذمار، ثم تعرض المسجد عبر عصوره الإسلامية إلى العديد من التجديدات والإضافات شأنه فى ذلك شأن بقية المساجد التى تقدم ذكرها.

ومن الإشارات التاريخية التى تدلنا على أن بلاد اليمن كانت فى طليعة البلاد التى شهدت عمارة المساجد ما أورده الرازى فى تاريخه ونصه «قال الكشورى: وذكر بعض المشائخ أن مسجد ضهر بنى سنة سنة: يعنى فى أول سنة التأريخ ومسجد صنعاء سنة ست من التاريخ(٢٢٠).

ويدعم هذا النص عمارة المساجد قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وهى العمارة التى تقدم ذكرها فى رواية السمهودى عن «ابن أبى شبة عن جابر قال: لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله ﷺ سنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة».

هوامش وتعليقات الفصل الثانى

(١) ورد ذكر المسجد الحرام فى القرآن الكريم فى خمسة عشر موضعًا، ستة فى البقرة فى الآيات ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١٧، وورد فى سورة المائدة فى الآية ٢، وفى سورة الأنفال فى الآية ٣٤، وفى سورة التوبة فى الآيات ٧، ١٩، ٢٨، وفى سورة الإسراء فى الآية ١، وفى سورة الحج فى الآية ٢٥، وفى سورة الفتح فى الآية ٢٥، والآية ٢٧ .

مزيد من التفاصيل انظر الفصل الأول من الكتاب.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٤ .

(٣) سورة المائدة، آية ٢ .

(٤) سورة الانفال، آية ٣٤ .

(٥) سورة التوبة، آية ٧ .

(٦) سورة الإسراء، آية ١ .

(٧) سورة الحج، آية ٢٥ .

(٨) سورة الفتح، آية ٢٥ .

(٩) قال الزركشى، وأما ابن أبى الصيف اليمن فقال بعد ذكر المواضع الخمسة عشر: منها ما أرد به الكعبة كقوله: «فول وجهك شطر المسجد الحرام». ومنها ما أرد به مكة كقوله «سبحان الذى أسرى بعبده» وقد روى أنه أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبى طالب، ومنها ما أراد به الحرم كقوله تعالى «إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام».

الزركشى: إعلام الساجد، ص ٦٠ .

(١٠) سورة آل عمران، آية ٩٦ .

(١١) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٢٨ .

(١٢) البخارى: صحيح البخارى، مج ٢، جـ ٥، ص ٥١، ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ١، ص ص ٦٩ - ٧٠ .

(١٣) سورة الإسراء، آية ٨١ .

(١٤) ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد أبى عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) ت ٦٣٠هـ: الكامل فى التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، جـ٢، ص ١٢٥ .

أنظر أيضًا: ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٤، ص ٥٩ .

(١٥) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة، القاهرة، ص ص ١٠٩-١١٣ .

(١٦) البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٥، ص ٥١ .

(١٧) الزركشى: إعلام الساجد، ص ,٥٧، حسن الباشا: مدخل إلى الآثار، ص ١١٣، جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، مؤسسة دار الهلال، ١٩٦٨م، الطبعة الأولى، ص ٦٩ .

ويحدد ياقوت الحموى ارتفاع الجدار بقوله «دون القامة فكانت المصابيح توضع عليه». انظر: ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، مج ٥، ص ١٢٤ .

(١٨) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٢، ص ص ٣٦٠-٣٦١ .

(١٩) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٥٢ .

(٢٠) زكى محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربى، القاهرة، بيروت، ص ص ٣٤٥ - ٣٤٧ .

(٢١) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٥٧ .

(٢٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٢، ص ٤٦١ .

(٢٣) قال الزركشى لها أسماء كثيرة، وحكمة ذلك أن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى، وتتمثل هذه الأسماء فى مكة، وبكة بالباء، لأنها تبك أعناق الجبابرة، أى تكسرهم،

والبلد الأمين، لتحريم القتال فيه، والبيت العتيق لأنه قديم البناء اذ كانت الملائكة تطوف به قبل خلق آدم، والبيت الحرام، لتحريم القتال فيه، والمأمون، وأم القرى، والناسة من نسى الشيء إذا يبس من العطش، والباسة لأنها تبس من ألحد فيها، أى تحطمه وتهلكه، والنساسة لأنها تنس الملحد فيها، أى تطرده، وصلاح، لأن فيها صلاح الخلق، وأم رحم لأن الناس يتراحمون ويتواصلان فيها، وأم زحم، من ازدحام الناس فيها، وكوثى باسم موضع منها، والحاطمة لحطمها الملحد، والعرش، والقادس من التقديس، والمقدسة والقادسة، والبلد، والبلدة، والقرية، والبنية، وطيبة، والحرم، والمسجد الحرام، والمعطشة، وبرة، والرتاج، والكعبة، والرأس.

مزيد من التفاصيل عن هذه الأسماء أنظر:

الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٧٨-٨٣ .

(٢٤) جاء فى صحيح البخارى فى باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة «حدثنى مطر بن الفضل حدثنا روح بن عبادة حدثنا زكرياء بن إسحق حدثنا عمرو بن دينار عن ابن عباس قال مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين».

البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٥، ص ٧٣ .

انظر أيضًا: الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م: تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، مج١، ص ص ٥٧٢ - ٥٧٣ .

(٢٥) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ص ٢٧٨-٢٩٦ .

أوردت سعاد ماهر أن مكان المعجن يعد أول مكان سجد فيه النبى ﷺ. مزيد من التفاصيل انظر:

سعاد ماهر محمد: مساجد فى السيرة النبوية، ص ١١ .

(٢٦) «وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن بذلك، فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان، قالت عائشة، فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال قد علمت الذى عاقدت لك عليه، فاما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع

إلى ذمتى فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى اخفرت فى رجل عقدت له، فقال أبو بكر فإنى أرد إليك طورك، وأرضى بجوار الله عز وجل، والنبى ﷺ يومئذ بمكة فقال النبى ﷺ للمسلمين إنى أريت دار هجرتكم ذات نخل... فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال رسول الله ﷺ على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت؟ قال نعم، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه..».

البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٥، ص ص ٧٤-٧٥ .

(٢٧) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ٣، ص ١٧٣ .

(٢٨) «فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم إن أبا بكر لايخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره..».

البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٥، ص ص ٧٣-٧٤ .

(٢٩) أورد السمهودى فى وفاء الوفا فى أسماء هذه البلدة الشريفة «أعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، ولم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة، وقد استقصيتها بحسب القدرة حتى إنى زدت على شيخ مشايخنا المجد الشيرازى اللغوى ـ وهو أعظم الناس فى هذا الباب ـ نحو ثلاثين اسما... الأول: أثرب، كمسجد، بفتح الهمزة... الثانى أرض الله.. الثالث أرض الهجرة.. الرابع «أكالة البلدان» لتسلطها على جميع الأمصار.. الخامس أكالة القرى.. السادس الإيمان.. السابع البارة، الثامن البرة.. التاسع البحرة.. العاشر البحيرة.. الحادى عشر البحيرة بفتح أوله.. الثانى عشر البلاط.. البلد.. بيت الرسول ﷺ.. تندد.. تندر..الجابرة.. جبار.. الجبارة.. جزيرة العرب.. الجنة الحصينة بضم الجيم، وهى الوقاية.. الحبيبة لحبه لها

ﷺ، وقال «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد» . . الحرم بالفتح بمعنى الحرام، لتحريمها، وفى حديث مسلم «المدينة حرم» . . حرم رسول الله ﷺ لأنه الذى حرمها . . حسنة . . الخيرة . . الخيرة كالذى قبله إلا أن الياء مخففة . . الدار . . دار الأبرار . . الثلاثون دار الأخيار لأنها دار المصطفى المختار، والمهاجرين والأنصار . . دار الإيمان . . دار السنة . . دار السلامة . . دار الفتح . . دار الهجرة . . ذات الحجر . . ذات الحرار . . ذات النخل . . السلقة . . سيدة البلدان . . الشافية . . طابة . . طيبة . . طيبة . . طائب . . طباب . . العاصمة . . العذراء . . العراء . . العروض . . الغراء . . غلبة . . الفاضحة . . القاصمة . . قبة الإسلام . . قرية الأنصار . . قرية رسول الله ﷺ . . قلب الإيمان . . المؤمنة . . المباركة . . مبوأ الحلال والحرام . . مبين الحلال والحرام . . المجبورة . . المحببة . . المحبوبة . . المحبورة . . المحرمة . . المحفوفة . . المحفوظة . . المختارة . . مدخل صدق . . المدينة، ومدينة الرسول ﷺ . . المرحومة . . المرزوقة . . مسجد الأقصى . . المسكينة . . المسلمة . . مضجع رسول الله ﷺ . . المطيبة . . المقر . . المكتان . . المكينة . . مهاجر رسول الله ﷺ . . الموفية . . الناجية . . نبلاء . . النحر . . الهذراء . . يثرب . . يندد . . ينذر . . . » .

مزيد من التفاصيل انظر:

السمهودى (نور الدين على بن أحمد) ت ٩١١هـ: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، جـ١، ص ص ٨-٢٧ .

(٣٠) محمد محمد الكحلاوى: القيم الدينية وأثرها فى تخطيط عمارة المساجد، دراسات فى علم الآثار والتراث، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، قسم الآثار والمتاحف، كلية الاداب، جامعة الملك سعود، الرياض، العدد الأول، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ص ١٦٩-١٧١ .

وقد أورد السيد سابق عند ذكره المساجد والدعاء عند التوجه إليها «بسن الدعاء، حين التوجه إلى المسجد، بما يأتى:

قالت أم سلمة: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته، قال: «باسم الله، توكلت على الله، اللهم إنى أعوذبك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو

أجهل أو يجهل على». رواه أصحاب السنن، وصححه الترمذى.

وروى أصحاب السنن الثلاثة، وحسنه الترمذى، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال إذ اخرج من بيته: باسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له: حسبك! هديت، وكفيت، ووقيت. وتنحى عنه الشيطان».

مزيد من التفاصيل انظر:

السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ص ٢٩٣-٢٩٤ .

(٣١) سورة التوبة، آية ١٧، ١٨ .

(٣٢) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٦ .

(٣٣) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٨ .

(٣٤) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣٩ .

أورد السيد سابق فى فضل السعى إلى المساجد، والجلوس فيها: روى أحمد، والشيخان، عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد وراح، أعد الله له الجنة نزلاً، كلما غدا وراح».

وروى أحمد، وابن ماجة، وابن خزيمة، وابن حبان، والترمذى وحسنه، والحاكم وصححه، عن أبى سعيد، أن النبى ﷺ قال: إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد، فأشهدوا له بالإيمان قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [التوبة: ١٨].

وروى مسلم، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله، ليقضى فريضة من فرائض الله، كانت خطواته، إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجته» السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ٢٩٥ .

(٣٥) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ص ٢٥٠-٢٥١ .

(٣٦) قال السمهودى «والمربد: الموضع الذى يبسط فيه التمر ليبس» السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٥٠ .

(٣٧) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٢٥ .

أورد ابن سعد «. . . وكان جداراً مجدراً ليس عليه سقف، وقبلته إلى بيت المقدس، وكان أسعد بن زرارة بناه فكان يصلى بأصحابه فيه ويجمع بهم فيه الجمعة قبل مقدم

رسول الله، ﷺ، فأمر رسول الله، ﷺ، بالنخل الذى فى الحديقة وبالغرقد الذى فيه أن يقطع. . .».

ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص ١١٥ .

(٣٨) السمهودى: وفاء الوفاء، جـ١، ص ٢٥٠ . ، محمد هزاع الشهرى: عمارة المسجد النبوى منذ انشائه حتى نهاية العصر المملوكى، دار القاهرة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٢٥ .

(٣٩) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج١، ص ٥٥٩ .

قال السمهودى «. . فكان يصلى بهم، وقيل: بعثه إليهم بعد ذلك بطلبهم ليعلمهم ويقرئهم القرآن، فكان يسمى «المقرئ» وهو أول من سمى به، فنزل على أسعد بن زرارة، وقيل: بعث إليهم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فكان مصعب بن عمير يؤمهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض، فجمع بهم أول جمعة فى الإسلام ـ وفى الدار قطنى عن ابن عباس أن النبى ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير أن يجمع بهم فجمع بهم وكانوا اثنى عشر».

السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٢٤ .

(٤٠) ابن هشام: السيرة، جـ٢، ص ١٣٦ .

تقع قباء فى الجنوب الغربى من المدينة المنورة. مزيد من التفاصيل أنظر: محمد الياس عبد الغنى: المساجد الأثرية فى المدينة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٥ . ، تاريخ المدينة المنورة (قسم المساجد)، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٠ . ، أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١، ص ٢١ .

وقد أورد الشهرى الروايات الخاصة بمدة بقاء النبى ﷺ بقباء، وهى المدة التى يجملها المراغى بقوله «أقام. . . اثنتين وعشرين ليلة. . . وفى صحيح مسلم. . . أربع عشرة ليلة»، ويشير الشهرى أن المدة التى أوردها ابن هشام وتقدم ذكرها فى النص تعد كافية لتأسيس المسجد وتحديد جوانبه. مزيد من التفاصيل أنظر:

الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٢٣ .

(٤١) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ص ٢٥٠-٢٥١ .

أورد الزركشى نقلاً عن ابن الجوزى فى تلقيح فهوم أهل الأثر «أول من بنى مسجداً فى الإسلام عمار بن ياسر. قلت: وهو مسجد قباء».

الزركشى: إعلام الساجد، ص ٣١ .

نقل وليد عبد الله من «التراتيب الإدارية» «بنى ﷺ مسجد قباء أول ما ورد المدينة ووقف على أساسه، قال السهيلى فى «الروض» ذكر ابن قتيبة أن رسول الله ﷺ حين أسس مسجد قباء كان هو أول من وضع حجراً فى قبلته ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبى بكر ثم أخذ الناس فى البنيان فقال هذا أول مسجد بنى فى الإسلام».

وليد عبد الله عبد العزيز المنيسى: الحسبة على المدن والعمران، حوليات كلية الاداب، مجلس النشر العلمى، جامعة الكويت، الحولية السادسة عشر، الرسالة المائة وسته ١٤١٦-١٤١٧هـ/ ١٩٩٥-١٩٩٦م، ص ص ٥٨-٥٩ .

(٤٢) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٧٦ .

(٤٣) سورة التوبة، الآيات ١٠٧-١٠٩ .

قال السمهودى «وقد اختلف فى المراد بقوله تعالى «لمسجد اسس على التقوى من أول يوم» فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء، ولا ينافيه قوله ﷺ لمسجد المدينة «هو مسجدكم هذا» إذ كل منهما أسس على التقوى».

السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٥١ .

(٤٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٥١ .

(٤٥) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٥٢ .

(٤٦) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٥١ .

أورد ابن سعد عند ذكره المسجد الذى أسس على التقوى «أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا ربيعه بن عثمان عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد، وحدثنا عبد العزيز بن محمد وسليمان بن بلال عن إسحاق بن المستورد عن محمد بن عمر بن جارية عن أبى غزية وحدثنا عبد الله بن محمد عن أبيه عن جده، عن أبى سعيد الخدرى قالوا: لما صرفت القبلة إلى الكعبة أتى رسول الله، ﷺ، مسجد قباء فقدم جدار المسجد إلى

موضعه اليوم وأسسه وقال رسول الله، ﷺ: جبريل يؤم بى البيت. ونقل رسول الله ﷺ، وأصحابه الحجارة لبناءه».

ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ١، ص ١١٨ .

(٤٧) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٢٤ - ٢٥ .

(٤٨) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ٢، ص ص ٧٦-٧٧ .

(٤٩) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ٢، ص ٧٧ .

أورد ابن سعد «... وقال رسول الله، ﷺ: من توفى فأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة، وكان عمر يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس، وقال: لو كان بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الابل...».

ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص ١١٨ .

(٥٠) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ٢، ص ٧٧ .

(٥١) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٤، ص ص ١٧١-١٧٢ .

(٥٢) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص ١٣٦ .

ذكرت سعاد ماهر مسجد الجمعة فقالت هو اليوم فى وسط صفصف خال، وفى جهته الشرقية بعض أشجار الطرفاء، وفى جهته الغربية أرض جرداء، وفى جهته الجنوبية بستان، وكذلك فى جهته الشمالية، ويقع هذا المسجد فى بطن وادى رانوناء شرقى الطريق المستحدث إلى مسجد قباء، ويراه سالك هذا الطريق إلى قباء عن يساره فى وهدة من الأرض، وذلك قبيل بستان الجزع.

سعاد ماهر: مساجد فى السيرة النبوية، ص ٤٨ .

(٥٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج١، ص ٧ .، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٢، ص ٥ .

(٥٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٥٦ .

(٥٥) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٢٣ .

(٥٦) البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٥، ص ٧٢ .

(٥٧) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص ص ١٣٧-١٣٨ .

مزيد من التفاصيل أنظر أيضًا:

الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٨ . ، ابن الأثير: الكامل، مج٢، ص ٥ .

(٥٨) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٢٢ .

(٥٩) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٢٤ .

(٦٠) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٢٥ .

(٦١) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٢٦ .

(٦٢) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١١٧ .

وفى رواية ابن سعد «. . . وبنى رسول الله، ﷺ، وأصحابه، وجعل ينقل معهم الحجارة بنفسه ويقول:

اللهم لا عيش: إلا عيش الآخره فاغفـر للأنصـار والمهاجـــره

وجعل يقول:

هذا الحمال لاحمال خيبر هـذا أبر، ربنـا، وأطهـــر

مزيد من التفاصيل انظر:

ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص ص ١١٥-١١٦ .

(٦٣) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٢٩ .

(٦٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ص ٧٦، ٣٣٤ .

المناصع موضع خارج المدينة المنورة.

الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٣٠-٣١ .

(٦٥) ابن النجار: الدرة الثمينة فى تاريخ المدينة، تحقيق محمد زينهم، الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٥٥ . ولقد جاء فى شروط ابن أبى الربيع لإنشاء المدن قوله بعد أن ساق شروطًا «وان يبنى فيها جامعا للصلاة فى وسطها ليقرب على جميع أهلها»، فاختار ﷺ موقع المسجد فى الوسط من المدينة المنورة ليكون قريبًا من المسلمين جميعًا، وليمثل قلب المدينة النابض الذى تتصل به الطرق الرئيسية والفرعية والأزقة.

مزيد من التفاصيل أنظر:

وليد عبد الله: الحسبة على المدن والعمران، ص ٦٧ .

(٦٦) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٢٦٢ .

(٦٧) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٣٣ .

(٦٨) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ص ٣٣٣-٣٣٤ .

«وعنه أيضًا قال: جئت إلى النبى ﷺ وأصحابه يبنون المسجد، قال: فكأنه لم يعجبه عملهم، قال: فأخذت المسحاة فخلطت بها الطين، فكأنه أعجبه أخذى المسحاة وعملى فقال: دعوا الحنفى والطين فإنه من أصنعكم للطين».

السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٣٤ .

(٦٩) سورة الأنعام، آية ٣ .

(٧٠) سورة التوبة، آية ١٠٥ .

(٧١) سورة يونس، آية ٦١ .

(٧٢) سورة الإسراء، آية ٨٤ .

(٧٣) سورة النمل، آية ٨٨ .

(٧٤) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ٢٣ .

(٧٥) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٢٥٨ .

(٧٦) سورة آل عمران، آية ٣٧ .

(٧٧) سورة آل عمران، آية ٣٩ .

(٧٨) سورة مريم، آية ١١ .

(٧٩) سورة ص، آية ٢١ .

(٨٠) البسطة هى قامة الرجل مع رفع اليد إلى أعلى.

أنظر: الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٣٤ .

(٨١) ابن النجار: الدرة الثمينة، ص ١٤٦ .، الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٣٦-٣٨ .

(٨٢) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٣٥ .

(٨٣) ابن النجار: الدرة، ص ١٤٧ .، الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٣٨-٤٠

(٨٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٣٥ .

(٨٥) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٣٨-٤٠ .

(٨٦) ابن النجار: الدرة، ص ١٤٧ .

أورد ابن سعد «. . . فقيل له ألا تسقفه؟ فقال: عريش كعريش موس خشيبات وثمام، الشأن أعجل من ذلك» ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص ١١٦ .

(٨٧) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٣٥ .

(٨٨) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٣٧ .

(٨٩) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٩٠) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٣٨-٤٠ .

(٩١) أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)، دار المعارف بمصر، ص ص ١٧٠-١٧١ .

(٩٢) سورة الأعراف، آية ١٧١ .

(٩٣) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١١٠ .

أورد ابن سعد عند ذكره صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة «أخبرنا محمد بن عمر، أخبرنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: وأخبرنا عبد الله بن جعفر الزهرى عن عثمان بن محمد الأخنس وعن غيرهما أن رسول الله ﷺ، لما هاجر إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، وكان يحب ان يصرف إلى الكعبة فقال: ياجبريل وددت أن الله صرف وجهى عن قبلة يهود، فقال جبريل: إنما أنا عبد فادع ربك وسله، وجعل إذا صلى إلى بيت المقدس يرفع رأسه إلى السماء، فنزلت عليه: «قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها».

ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص ١١٦ .

(٩٤) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٨ . ، ابن الأثير: الكامل، جـ٢، ص ١١ .

«قال أبو جعفر: وقال آخرون: انما صرفت القبلة إلى الكعبة لستة عشر شهراً مضت من سنى الهجرة».

الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ١٨ . ، ابن الأثير: الكامل، جـ٢، ص ١٢ .

(٩٥) الزركشى: إعلام الساجد، ص ص ٢٢٣-٢٢٤ .

أورد ابن سعد عند ذكره الصفة «قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنى محمد بن مسلمة عن عمر بن عبد الله عن ابن كعب القرظى فى قوله، جل ثناؤه: «للفقراء الذين

أحصروا فى سبيل الله»، قال: هم أصحاب الصفة وكانوا لا مساكن لهم بالمدينة ولا عشائر فحث الله عليهم الناس بالصدقة».

ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ١، ص ١٢٣ .

(٩٦) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١٢٠ .

نقل السمهودى فى الصفة وأهلها «قال عياض: الصفة ـ بضم الصاد وتشديد الفاء ـ ظلة فى مؤخر مسجد النبى ﷺ، يأوى إليها المساكين، وإليها ينسب أهل الصفة على أشهر الأقاويل. وقال الحافظ: إن القبلة قبل أن تحول كانت فى شمالى المسجد، فلما حولت القبلة بقى حائط القبلة الأعلى مكان أهل الصفة. وقال الحافظ ابن حجر: الصفة مكان مؤخر المسجد النبوى مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا ماوى له ولا أهل، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر. وقد سرد أسماءهم أبو نعيم فى الحلية فزادوا على المائة، وقد أخرج أبو نعيم فى الحلية من مرسل الحسن قال: بنيت صفة فى المسجد لضعفاء المسلمين»، وروى البيهقى عن عثمان بن اليمان قال: لما كثرت المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم دار ولا مأوى أنزلهم رسول الله ﷺ المسجد وسماهم أصحاب الصفة، فكان يجالسهم ويأنس بهم. السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ص ٤٥٣ - ٤٥٤ .

(٩٧) يذكر الشهرى أن المصادر التى أمكن الاطلاع عليها لم تشر إلى تغيير اتجاه جدار القبلة، وبيت المقدس والمدينة المنورة ومكة المكرمة ليست على خط طول واحد، ومعنى ذلك أن الاكتفاء بعمل ظلة فى المسجد بإزاء جدار القبلة قد يترتب عليه انحراف فى ترتيب الصفوف داخل هذه الظلة وباقى المسجد، فالمدينة المنورة تقع على خط طول ٣٩,٣٦ْ شرقًا، ومكة المكرمة على خط طول ٤٠,٩ْ شرقًا، وبيت المقدس على خط طول ٣٥,١٣ْ شرقًا، أى أن هناك خط يشبه القوس يربط ما بين هذه المدن الثلاث، ومما يؤيد تشككى فى بقاء جدران المسجد على حالها الأول ما ورد فى الروايات، فابن المحجوب ينقل عن ابن زبالة «أنه ﷺ لما أمره الله باستقبال الكعبة أتاه جبريل عليه السلام فرفع له الكعبة، وقال يارسول الله ابن قبلة مسجدك وأنت تنظر إلى الكعبة فصوب قبلته وهو يشاهدها لايحال بينه وبينها، حتى إذا فرغ قال جبريل للجبال والشجر هكذا وأشار إليها فعادت كما كانت».

مزيد من التفاصيل أنظر:

الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٤٣ .

(٩٨) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ص ٣٣٦-٣٣٧ .

(٩٩) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٦٤ .

(١٠٠) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٤٢ .

(١٠١) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٢٥٨ .

(١٠٢) عبد الرحمن الجزيرى: كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، جـ١، ص ١٥٣ .

(١٠٣) عبد الرحمن الجزيرى: كتاب الفقه، جـ١، ص ١٥٣ .

يذكر الجزيرى «مثلا إذا استقبل المصلى فى مصر الجهة الشرقية بدون انحراف إلى جهة اليمين، فإنه يكون مستقبلاً للقبلة، لأن القبلة فى مصر وإن كانت منحرفة إلى جهة اليمين، ولكن ترك هذا الانحراف لا يضر، لأنه لا تزول به المقابلة بالكلية، فالمدار على استقبال جهة الكعبة أن يكون جزء من سطح الوجه مقابلاً لها، وهذا رأى ثلاثة من الأئمة، وخالفهم الشافعية» «الشافعية قالوا: يجب على من كان قريبًا من الكعبة أو بعيداً عنها أن يستقبل عين الكعبة، أو هوائها المتصل بها... ولكن يجب على القريب أن يستقبل عينها أو هوائها يقينا بأن يراها أو يلمسها أو نحو ذلك مما يفيد اليقين، أما من كان بعيداً عنها فإنه يستقبل عينها ظنًا لاجهتها على المعتمد، ثم إن الانحراف اليسير يبطل الصلاة إذا كان بالصدر بالنسبة للقائم والجالس، فلو انحرف القائم أو الجالس فى الصلاة بصدره بطلت أما إذا انحرف بوجهه فلا، والانحراف بالنسبة للمضطجع يبطل إذا كان بالصدر أو بالوجه وبالنسبة للمستلقى يبطل إذا انحرف بالوجه أو بباطن القدمين.

الجزيرى: كتاب الفقه جـ١، ص ص ١٥٣-١٥٤ .

(١٠٤) سورة البقرة، آية ١٤٢ .

(١٠٥) سورة البقرة، الآية ١٤٣ .

(١٠٦) سورة البقرة، الآية ١٤٥ .

(١٠٧) سورة البقرة، الآيات ١٤٨-١٥٠ .

(١٠٨) يذكر الشهرى انه فيما يتعلق بالوصف الدقيق لظلتى المسجد فإن كتب التاريخ لم تزودنا بما يكفى لمعرفة حال الظلة الأولى، إلا انها قد أعطتنا من الاشارات ما يكفى لترسم حال الظلة الثانية، فمن المعروف أن الرسول ﷺ قد اتخذ مصلاه بإزاء جدار القبلة من أول يوم أمر فيه بالتوجه فى صلاته إلى الكعبة، ولابد أن الرسول ﷺ كان يتوسط المصلين فى صلاته، وينتهى الشهرى إلى أن الظلة التى اقيمت خلف جدار القبلة الجنوبى كانت تتألف من ستة أعمدة تمتد من الشرق إلى الغرب ومن سبع بوائك تمتد عمودية على جدار القبلة، ويضيف وإن كنت قد توصلت إلى معرفة عدد اسطوانات رواق القبلة الممتدة من الشرق إلى الغرب فاننى لم اهتد إلى معرفة عدد الاسطوانات الممتدة من جدار القبلة إلى رحبة المسجد، علما بأن طول الجدار الممتد من الشمال إلى الجنوب هو سبعون ذراعا على أشهر الروايات التى اعتمدت عليها.

الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ٥٠ .

(١٠٩) د. محمد محمد الكحلاوى: القيم الدينية، ص ص ١٨٦-١٨٨ .

(١١٠) الشهرى: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٥١-٥٥ .

(١١١) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١٢١ .

(١١٢) أحمد فكرى: المدخل، ص ١٨٧ .

يذكر أحمد فكرى أن جميع البناة فى العصور المتتالية احتفظوا بمواضع الأساطين الأولى فى مسجد الرسول ﷺ وأبقوا محرابه ومنبره فى موضعها منه، وكذلك احتفظوا بمواضع الأبواب الثلاثة التى كانت بذلك المسجد، ومازالت تعرف بأسمائها، وهى باب جبريل، وسط الجدار الشرقى، وباب النساء فى شمال هذا الجدار، يقابله باب الرحمة فى الجدار الغربى.

أحمد فكرى: المدخل، ص ١٨٧ .

(١١٣) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٦٥٥ .

(١١٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٦٥٦ .

(١١٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ١، ص ١١٩ . ، الجزيرى: الفقه، جـ١، ص ص ٢٤١-٢٤٢ .

(١١٦) التهانوى (محمد أعلى بن على): موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية (المعروف

بكشاف اصطلاحات الفنون»، نشر خياط بيروت، لبنان ١٩٦٦م، الجزء الأول، ص ٩٣ .

الزمخشرى (جار الله أبى القاسم محمود بن عمر): أساس البلاغة: باب ع ل م، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، الجزء الثانى، ص ١٣٩، وزارة الأوقاف قسم المساجد، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة قسم العبادات، نشر دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٢٤٧هـ/ ١٩٢٨م، ص ٢٦٣ .

(١١٧) السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ١٣٢ .

(١١٨) النووى (أبو زكريا محى الدين): تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، القسم الثانى، الجزء الأول، ص ٦ .

(١١٩) ابن منظور: لسان العرب، جـ١، ص ٥١-٥٣ .

(١٢٠) النووى: تهذيب الاسماء، القسم الثانى، الجزء الأول، ص ٦ .

(١٢١) كأنه نادى مرارا أيتها العير والعيرما أمتير عليه من الحمير والابل والبغال. انظر. القرطبى (أبى عبد الله حمد بن أحمد الانصارى): الجامع لاحكام القرآن، دار احياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م. الجزء التاسع، ص ٢٣٠ .

(١٢٢) يروى أن طاوسا دخل على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الاذان فقال ومايوم الأذان؟ قال: قوله تعالى «فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين» فصعق هشام، فقال طاوس: هذا ذل الصفة فكيف ذل المعاينة؟. القرطبى: الجامع لاحكام القرآن، ١٩٦٥م، جـ٧، ص ٢١٠ .

(١٢٣) سورة التوبة، آية رقم ٣ .

(١٢٤) سورة الاعراف، آية ٤٤ .

(١٢٥) سورة يوسف، آية رقم ٧٠ .

(١٢٦) واذن فى الناس بالحج أى ناد فى الناس بالحج داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت. انظر سورة الحج، آية رقم ٢٧، ابن كثير القرشى الدمشقى: تفسير القرآن العظيم، دار احياء الكتب العربية، جـ٣، ص ٢١٥ .

(١٢٧) سورة المائدة، آية رقم ٥٨ .

(١٢٨) سورة الجمعة، آية رقم ٩ .

(١٢٩) ابن منظور: لسان العرب، جـ١، ص ٥٣ .

(١٣٠) المقرى الفيومى (أحمد بن محمد بن على): المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، باب الالف مع الذال وما يثلثهما، المطبعة الاميرية ببولاق مصر ـ الطبعةالأولى ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م.

قال ابن برى وقولهم: اذن العصر، بالبناء للفاعل خطأ، والصواب اذن بالعصر بالبناء للمفعول.

(١٣١) سورة المائدة، آية رقم ٥٨ .

(١٣٢) سورة الجمعة، آية رقم ٩ .

(١٣٣) رواه البخارى ومسلم. انظر: البخارى: صحيح البخارى، باب بدء الأذان، دار الجيل، بيروت ص ١٦٢ .

(١٣٤) رواه أحمد عن ابى الدرداء، وأخرجه النسائى وابن حبان والحاكم، وقال: صحيح الاسناد، وأخرجه أبو داود ولفظه: «ما من ثلاثة فى قرية ولابد ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية». انظر: الشوكانى: نيل الاوطار، جـ٢، ص ٣١ .

(١٣٥) الشوكانى: نيل الأوطار، جـ٢، ص ٣١ .

(١٣٦) انظر عن كيفيات ورود الأذان:

السيد سابق: فقه السنة، جـ١، ص ١٣٥ .

(١٣٧) سورة الاعراف، آية رقم ٤٤ .

(١٣٨) سورة يوسف، آية رقم ٧٠ .

(١٣٩) كان يوجد فى مكة اناس خاصون بدعوة الناس إلى الاجتماع يسمى الواحد منهم المنادى والمؤذن، وقد أثرت تقاليد مكة السياسية تأثيرا قويا فى تطور المسلمين السياسى، وقد صار عند النبى ﷺ جماعة من المنادين أو المؤذنين أشهرهم بلال رضى الله عنه استخدمهم الرسول ﷺ للدعوة إلى الاجتماعات للصلاة خاصة. انظر: عبد العزيز الدورى: النظم الإسلامية، ص ص ٩ - ١٠، حسن الباشا: الالقاب الإسلامية، جـ٣، ص ١١٦٤ .

(١٤٠) ابن قدامة: المغنى، جـ١، ص ٤٠٣ .

(١٤١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م المجلد الثالث، ص ٢٣٤، السكتوارى (علاء الدين على): محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر، ص ٩٥ .

(١٤٢) ابن سعد: الطبقات جـ٤، ص ٢٠٧ .

(١٤٣) مسلم: صحيح مسلم (الجامع الصحيح) دار المعرفة، بيروت، لبنان، جـ٢، ص ٣، ابن سعد: الطبقات، جـ٤، ص ٢٠٧ .

(١٤٤) ابن الأثير: أسد الغابة، مج ٢، ص ص ٤٥٦-٤٥٧ .

(١٤٥) الدر قطنى: سنن الدار قطنى، تحقيق السيد عبد الله هاشم، دار المحاسن، القاهرة، دار المعرفة، بيروت، المدينة المنورة، الحجاز، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، جـ١، ص ٢٣٦ . ، القسطلانى: شرح الإمام الزرقانى المالكى على المذاهب اللادنية، المطبعة الأزهرية المصرية، ط١، ١٣٢٦هـ، جـ٣، ص ٣٧٠ .

(١٤٦) ابن سعد: الطبقات مج ٣، ص ٢٣٦ .

(١٤٧) المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، جـ٢، ص ٢٧٠ .

(١٤٨) عبد الحى الكتانى: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، جـ١، ص ٧٦ .

(١٤٩) المناوى: فيض القدير، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م، جـ٥، ص ١٧٩ .

(١٥٠) لبيب السعيد: الآذان والمؤذنون، الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٧٠م، ص ٢٠ .

(١٥١) النووى، تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ق١، جـ٢، ص ص ٢٦٦-٢٦٧، عبد الحى الكتانى: التراتيب الإدارية، جـ١، ص ٧٧ .

(١٥٢) ابن سعد: الطبقات، مج٣، ص ٢٣٦ . ، المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٧٠ .

(١٥٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٨، ص ٤٤٤ .

(١٥٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥٣٠ .

(١٥٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص ٩٧، ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، جـ١، ص ٩٣ حسن الباشا: مدخل

إلى الآثار الإسلامية، ص ص ٢٢-٢٥ . انظر: عن حضارة العرب أيضا. غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م)، ص ص ٩٤-٩٧ .

(١٥٦) Creswell: The Evolution of the Minaret. P. 7., Sauvaget (J): La Mosquee Omeyyade De Medine Paris, 1947, P. 126.

(١٥٧) Creswell: The Evolution. Sauvget: La Mosquee. P. 126.

(١٥٨) مزيد من التفاصيل انظر:

محمد هزاع: عمارة المسجد، ص ص ٧٣-٧٧ .

يذكر محمد هزاع أن خشب الآثل هو الصحيح لوجوده بكثرة فى المدينة ونواحيها، محمد هزاع: عمارة، ص ص ٧٣-٧٧ .

(١٥٩) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٣٨٨ .

(١٦٠) البخارى: صحيح البخارى، مج١، جـ١، ص ١٢٢ .

(١٦١) ابن النجار: الدرة، ص ص ١٥٩-١٦٠ .

مزيد من التفاصيل عن صانع المنبر ومساحته أنظر الروايات التى أوردها السمهودى.

السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ص ٣٩٠-٣٩١، ٣٩٥، ٤٠٢ .

(١٦٢) القبطية ـ بضم القاف وسكون الباء ـ الثوب الرقيق الأبيض من ثياب مصر.

السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٣٩٨ .

(١٦٣) مزيد من التفاصيل عن تقييم المخططات التى وضعت عن عمارة المسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ وأثر العقيدة.

محمد محمد الكحلاوى: القيم، ص ص ١٧٨ - ١٧٩، محمد هزاع: عمارة، ص ص ٥٧ - ٦١، أحمد رجب محمد على: المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ص ٢٢- ٣٥ .

(١٦٤) أحمد فكرى: المدخل، ص ١٨٤ .

(١٦٥) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ٥٧ .

(١٦٦) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٥٧-٥٨ .

(١٦٧) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ٥٨ .

(١٦٨) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٥٨-٥٩ .

(١٦٩) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى: ص ص ٥٩-٦٠ .

(١٧٠) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٨٤-١٨٧ .

(١٧١) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ٦٠ .

(١٧٢) د. محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ٦٠ .

(١٧٣) د. محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ص ٦٠ - ٦١ .

(١٧٤) محمد هزاع: عمارة المسجد النبوى، ص ٦١ .

(١٧٥) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ص ٤٥٨-٤٥٩ .

(١٧٦) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٢٢٤، أحمد فكرى: مساجد الإسلا مـ مسجد القيروان، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ص ص ٤٦-٤٧ .

(١٧٧) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٤٦٤ .

(١٧٨) ابن النجار: الدرة، ص ١٥٢ .

(١٧٩) الزركشى: إعلام الساجد، ص ٢٢٤ .، السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٥٤١

(١٨٠) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٤٦٤ .

(١٨١) ابن النجار: الدرة ص ٥٥ .

(١٨٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، مج٥، ص ٨٦ .

(١٨٣) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية عالم المعرفة، ١٢٨، الكويت ذو الحجة ١٤٠٨هـ/ أغسطس/ آب ١٩٨٨م. ص ص ٥٣-٥٦ .

(١٨٤) السمهودى: وفاء الوفا، جـ٢، ص ٧٤٧ .

(١٨٥) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص ص ٥٦-٦١ .

(١٨٦) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٠٠ .

(١٨٧) الطبرى: تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، مج٢، ص ٩١ .

(١٨٨) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٩١ .

(١٨٩) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٩٢ .، ابن الأثير، الكامل، جـ٢، ص ص ٦٥-٦٦ .

(١٩٠) محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، ص ص ٥٩-٦٠ .

(١٩١) السمهودى: وفاء الوفا، جـ١، ص ١٢٩ .

(١٩٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٢، ص ٦٧ .

(١٩٣) سورة النور، آية ٦٣ .

(١٩٤) سورة النور، آية ٦٢, مزيد من التفاصيل انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ٢، ص ص ٦٥-٦٦ .

(١٩٥) ابن هشام: السيرة، جـ٤، ص ص ١٧٢-١٧٣ .

(١٩٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ١٤-١٥ .

(١٩٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٨٥ .

(١٩٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ص ,١٣٥

(١٩٩) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ١٢٣ .

(٢٠٠) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٣٧٩ .

(٢٠١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ٣٣٥ .

(٢٠٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ٣٥٥ .

(٢٠٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٦ .

(٢٠٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٢٠١ .

(٢٠٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٣٢١ .

(٢٠٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٢٠٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ٤٠٨ .

(٢٠٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ٣٤٥ .

(٢٠٩) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ص ٥٨ .

(٢١٠) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ١١٦ .

(٢١١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ١٢ .

(٢١٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ٢٨٥ .

(٢١٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٣٧٢ .

(٢١٤) الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين عبد الله العمرى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ص ١٢٧-١٣٣ .

مصطفى عبد الله شيحة: مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ص ٢٩-٣٠ .

Creswell: A short Account. P. 83.

(٢١٥) مصطفى عبد الله شيحة: مدخل إلى العمارة، ص ص ٣٠-٣١ .

(٢١٦) الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، ص ١٣٩ .

(٢١٧) مصطفى شيحة: مدخل، ص ص ٥٢-٥٣ .

(٢١٨) الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، ص ١٣٩ .

(٢١٩) الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، ص ١٣٩ .

(٢٢٠) الرازى: تاريخ مدينة صنعاء، ص ١٣١ .